أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي

دكتور
رضوان البارودي
استاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية المساعد
كلية التربية — كفر الشيخ — جامعة طنطا

١٩٩٠



تمهيد ...

المسيحية ودخولها الى بلاد المغرب :

عرفت بلاد المغرب العديد من المعتقدات الدينية المختلفة ، نبع بعضها من البيئة المحلية ، ومثل صورة ساذجة للدين مثل الوثنية وبعض طقوس السحر والشعوذة ، فى حين تسلل بعضها الآخر من خارج البلاد خاصة من فلسطين وشبه الجزيرة العربية ، وأعنى بها الديانتين اليهودية والمسيحية وذلك قبل الفتح العربى للمغرب •

وجاء انتشار اليهودية فى بلاد المغرب فى القرن الاول قبل الميلاد على أيدى المهاجرين اليهود الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم ، وان كان هذا الانتشار محدودا بين السكان المحليين وهم البربر • كذلك عرفت المسيحية طريقها الى شمال افريقيا منذ فترة مبكرة، اذ يرى البعض أن انتشار المسيحية فى بلاد المغرب كان وثيق الصلة بالحكم الرومانى ، فقد كانت مبادىء المسيحية تتعارض مع تقاليد المجتمع الرومانى ، فلما خرجت المسيحية من بلاد الشام ، استهدفت القضاء على الوثنية فى الامبراطورية الرومانية [1] • ثم انتقلت المسيحية الى المغرب اما عن طريق مصر أو عن طريق الرومان فى القرون الأولى للميلاد• فليس هناك تاريخ مؤكد يعين دخول المسيحية الى هذه البلاد • وان غدت المسيحية فيما يقرب من القرن الثالث الميلادى ديانة

---

(1) انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩ ، جا ص١١٧ •

وعقيدة لها اتباع عديدون فى تلك البلاد [٢] ، وذلك حين تم تنظيم الكنيسة الافريقية على يد القديس سيبريان St. Cyprien (توفى فى ١٤ سبتمبر ٢٥٨ م) . وتعرض المسيحيون فى بلاد المغرب للاضطهاد — شأنهم فى ذلك شأن بقية المسيحيين فى أنحاء الامبراطورية الرومانية — وخاصة عندما طلب الامبراطور الرومانى دكيوس Decius من جميع رعاياه عام ٢٥٠ م أن يعلنوا ولاءهم للدولة وأن يخلصوا فى عبادة الامبراطور ويقدموا القرابين باسمه ويتنصلوا من العبادات الاخرى خاصة المسيحية والمانوية [٣] . واشتد اضطهاد الرومان الوثنيين للمسيحيين عندما رفضوا عبادة الامبراطور ودخول المعابد لتقديم القرابين باسمه ، كما رفضوا الانخراط فى جيش الدولة ، مما فسره الرومان بأنهم غدوا دولة داخل الدولة بعد أن استهانوا بتقاليد الامبراطورية ورسومها [٤] . وفى عصر الامبراطور دقلديناوس رأى

(٢) يرى شارل أندريه جوليان أن المسيحية وجدت استعدادا طيبا من البربر ، لأن الطبقة الارستقراطية منهم تقبلت فكرة الوحدانية بفضل الفلسفة . أما عامة الناس فقد تقبلوا هذه الفكرة بفضل الديانة البونية التى كان أصحابها يدينون باله واحد ولكن دون أن يسلموا بانه أوحد . ولذلك سجلت المسيحية تقدما سريعا وانتشرت فى أماكن عديدة فى هذه الفترة المبكرة . راجع : شارل جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية . تعريب محمد مزالى والبشير ابن سلامة . تونس ١٩٧٨ ، جـ١ ص٢٥٥ — كذلك انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨١ ، جـ١ ص٤٩ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق جـ١ ص١١٧ .

(٤) محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى . الاسكندرية ١٩٩٠ ص٤٨ .

أن هؤلاء الذين اعتنقوا المسيحية وانصرفوا عن عبادة الامبراطور انما يجنحون الى حركات انفصالية هدامه [٥] ، ذلك أن دخول المعابد الوثنية وعبادة الامبراطور كانت لونا من ألوان الطاعة السياسية يؤكد بهـــا الرعايا ولاءهم للامبـــراطور ، ولهذا اشتد دقلـــديانوس فى اضطهاد المسيحيين لا سيما فى السنوات الاخيرة من حكمه .

وقـــد اختلف رد فعل سكان المغـــرب من معتنقى المسيحية ازاء سياسة القمع والاضطهاد التى انتهجتها الامبراطورية الرومانية . فقد ارتد كثير من هؤلاء السكان عن المسيحية ، لأن المسيحية لم تكن قد تغلغلت بعد فى نفوسهم ، بل كان اعتناقهم لها سطحيا [٦] . أما المؤمنون منهم فقد تمسكوا بعقيدتهم ، وتحملوا من أجل ذلك ألوانا مختلفة من العذاب والاضطهاد . فقد هدمت كنائسهم وأحرقت كتبهم المقدسة ، وألقى قساوستهم فى السجون ، وطردوا نهائيا من الوظائف الحكومية ، ولقى الكثير منهم حتفه فى هذه الفترة، وغدوا فى نظر المسيحية شهداء. ويعبر القديس أوغسطين [٧] عن ذلك بقـــوله « ان أرض أفريقية مليئة

---

(٥) ابراهيم احمد العدوى : المجتمع المغربى . القاهرة ١٩٧٠ ص٥٥ .

(٦) ليون الافريقى (الحسن الوزان الفاسى) : وصف افريقيا ، نشر ايبولار وآخرون : ترجمة عبد الرحمن حميدة . منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الرياض ١٣٩٩هـ ص٧٧ .

(٧) القديس أوغسطين : واحد من أعظم الفلاسفة المسيحيين فى بلاد المغرب ، ولد فى نوميديا عام ٣٠٤م من أب وثنى وام مسيحية . تلقى علومه الاولى فى قرطاجنة ، ثم انتقـــل الى روما لاستكمال دراسته هناك . ثم رحل الى ميلان حيث اعتنق المسيحية وتعمق فى دراسة الفلسفة واللاهوت ويعتبر كتابه « مدينة الله » من اهم أعماله الادبية والفلسفية تأثيرا فى الفكـــر المسيحى . ولمزيد من

بأحباء القديسين » (٨) .

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد الذى تعرض له مسيحيو المغرب ، الا أن ذلك لم يمنع من وجود طائفة ظلت تحافظ على عقيدتها وبقيت صامدة متمسكة بدينها . وتركز المسيحيون فى الفترة التالية وحتى الفتح الاسلامى فى مناطق الاستقرار ، أى فى السهول الساحلية حيث استقرت العناصر الرومانية ، وفى بعض الحصون الداخلية . أما فى داخل البلاد حيث تنزل قبائل البربر ، كان انتشار المسيحية ضعيفا . وان كان ذلك لم يمنع عددا من قبائل البربر — خاصة التى ارتبطت بالحضارة الرومانية — أن تدين بالمسيحية (٩) وقد اعتنق مسيحيو شمال افريقيا فى غالبيتهم — وخاصة البربر — المذهب الدوناتى المعارض لمذهب الدولة لرفض الدونانيين (نسبة الى زعيمهم دوناتس Donatus) ما قال به اثناثيوس من أن السيد المسيح اله مساو للاله الأب فى المكانة والمنزلة والقدرة ، وما قرره مجمع نيقيه المسكونى من أن المسيح « اله من اله واله حق من اله حق ونور من نور ومولود غير مخلوق » (١٠) .

= التفاصيل عن القديس أوغسطين راجع : نورمان بينز : الافكار السياسية للقديس اوغسطين عن مدينة الله . ترجمة وتعليق اسامة زكى زيد : مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢٩ عام ١٩٨١ ص١٤٣ — ١٩٣ .

(٨) جوليان : المرجع السابق جا ص٢٥٧ .

(٩) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤هـ ج٦ ص١٠٧ . وقد ذكر ابن خلدون أن البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام كانوا تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذى اجتمعوا عليه مع الروم .

(١٠) محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ص٦١ .

ولما استولى الوندال على شمال افريقيــا حاولوا فرض مذهبهم الاريوسى (نسبة الى أريوس Arius) على أهل البــلاد ، وهذا المذهب كان يعــارض مذهب اثناثيوس أيضا الذى أخــذت به الدولة البيزنطية ، فأريوس أنكر ألوهية السيد المسيح ، وقال أنه مادام المسيح هو ابن الله ، فلابد أن يكون أقل منه شأنا وأدنى منــزلة ، واذا كان الخــلود هو صفة الله الــذى لا أول ولا آخر ، فــان المسيح لا يعد خالدا ، لان له بداية ، ولهذا فليس المسيح الها (١١) .

غير أن المذهب الاريوسى لم يلبث أن تلاشى من المغرب بنهــاية دولة الوندال واسترجاع الدولة البيزنطية لبلاد المغرب عام ٥٣٥ م . وبرغم ذلك فقد ظلت عوامل الخلاف بين بيزنطة وأهالى المغرب قائمــة الى حد ما . وقد حاول الامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع (٦٦٨ — ٦٨٥ م) ازالة أسباب الخلاف بين الدولة البيزنطية ورعاياها من من سكان المغرب لاستمرار الخلاف المذهبى وما ترتب على ذلك لجــوء السلطات البيزنطية الى سياسة التنكيل بالاهالى ، فعقد هذا الامبراطور مجمعا دينيا عام ٦٨٠م لمناقشة هذه الامور . وبالفعل نجح هذا المجمع فى ازالة أسباب التوتر بين الدولة البيزنطية وسكان المغرب المسيحيين. وترتب على ذلك النجاح اعتنــاق عدد من القبــائل البربرية الديانة المسيحية ومنها قبيلة أوربة البرانسية (١٢) .

---

(١١) نفس المرجع السابق والصفحة .

(١٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى : جا ص١٩١ ، ابراهيم العدوى : المجتمع المغربى : ص٩١ — ٩٢ .

المسيحية والمسيحيون منذ الفتح العربى لبلاد المغرب حتى نهاية القرن الخامس الهجرى (٧ — ١٢م) :

أ — فى زمن الفتـــح :

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح مصر ، انطلق غربا الى بلاد المغرب لتأمين الفتوح الشامية المصرية ، وكان يسكن المغـــرب عناصر بيزنطية أطلق عليهم الكتاب العرب اســـم الروم ، وكانوا يعتنقـــون المسيحية ، وكانت منازلهم بالسواحل والقلاع الداخلية ، بالاضـــافة الى البربر وهم أهل البلاد الاصليين الذين سكنوا فى المناطق الداخلية والوعرة على وجه الخصوص . ولم يكـــن يدين بالمســـيحية من هؤلاء البربر الا عدد قليل خاصة أولئك الذين اختلطوا بالروم وأصبحوا من المولدين وتأثروا بالحضارة الرومانية[١٣] . ومع ذلك فقـــد أنتشرت الكنائس والابرشـــيات والاســـقفيات فى ربوع المغـــرب ، حتى بلغ عددها قبيل الفتح الاسلامى مباشرة ما يقرب من مائتى اسقفية[١٤] . ولقى المسلمون هؤلاء المسيحيين اثناء فتحهم لبلاد المغرب ، فيذكر ابن عذارى أن عمرا اتجه بعد أن صالح أهل برقة على الجزية الى طرابلس،

(١٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جـ١ ص١٠٦ ، أنظر كذلك G. Marçais : La Berberie musulmane et l'orient ay Moyen age, Paris, 1946, P. 71.

(١٤) هذا الرقم ورد فى رسالة وجهها البابا ليون التاسع Léon IX الى توماس Thomas اسقف افريقية (الرســـالة مؤرخة فى ١٧ ديسمبر ١٠٥٣م) اظهر فيها البابا أسفه لتقلص عدد الاسقفيات فى افريقية بسبب تناقص عدد المسحيين هناك . راجع : Mas Latrie : Traités et documents divers concernant les relations des chrétiens et des Arabes au Moyen âge, Paris, 1889, Doc. No. 1, P. 1.

فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيلة نفوسه البربرية التى كانت قد دخلت فى دين النصرانية [١٥] .

وفى اثناء حملة عبد الله بن سعد على افريقية عام ٢٧ هـ / ٦٤٧م واجه العرب مقاومة عنيفة من الروم بقيادة بطريقهم جريجوريوس ويسميه العرب جرجير . أما أبو المهاجر دينار (٥٥ — ٦٢ هـ / ٦٧٦ — ٦٨٢ م) فقد تمكن بفضل سياسته الحكيمة من استمالة كسيلة بن لمزم زعيم أوربة البرانسية الى الاسلام بعد أن كان يدين هو وقبيلته بالمسيحية[١٦] . وتشير المصادر الى العناصر المسيحية التى واجهتها الجيوش الاسلامية اثناء ولاية عقبة بن نافع الفهرى الثانية على المغرب، فابن عذارى يذكر أن النصارى كانوا يهربون من طريق عقبة يمينا وشمالا وهو يفتتح البلاد وأنه أفنى من كان بها من النصارى [١٧] . كذلك فقد حاصر عقبة مدنية نفيس التى يذكر البكرى أن أهلها كانوا نصارى من الروم والبربر [١٨] .

---

(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار افريقية والمغرب . تحقيق ج. س. كولان وليفى بروفنسال ، بيروت جا ص٨ .

(١٦) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم العمرى . بغداد ١٩٦٨ جا ص٣٤٥ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص١٠٨ — جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج٢ ص٢١ .

(١٧) ابن عذارى : البيان المغرب جا ص١٩ ، ص٢٤ .

(١٨) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . نشر دى سلان. الجزائر ١٩١١ ص ١٦٠ ، مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار . تحقيق سعد زغلول عبد الحميد . الاسكندرية ١٩٥٨ ص٢٠٨ .

وفى خلال الهجوم الذى شنه الروم على برقه عام ٦٩هـ /٦٨٩م

أشار ابن عبد الحكم الى هـرب عاملها ابراهيـم بن النصرانى تاركا العرب وأهل الذمة من النصارى تحت رحمة الروم • وواضح من اسم هذا العامل أنه كان مسيحيا [١٩] • وفى ولاية حسان بن النعمان على المغرب تذكر المصادر أن ثلاثمائة من النصراى استغاثوا بحسان حينما أقدمت الكاهنة على تخريب بعض مناطق افريقية مما أضر بمزارعهم هناك[٢٠] • وبعد أن أنتهى حسان من مشكلة الكاهنة ، عاد الى القيروان لتنظيم أمور ولايته ، بما فى ذلك أوضـاع البربر النصارى أو عجـم افريقية ، فوضع الخراج على عجم أفريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر [٢١] ومعظمهم من البرانس وأقلهم من البتر • أما مدينة قرطاجنة التى كانت معقلا من معاقل المسيحية فى بلاد المغـرب ومقرا لأسقفية كبرى استمرت فترة طويلة من الزمن ، فقد خربهـا حسان واضطـر أهلها من نصـارى الروم الى الرحيـل الى صقلية

(١٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ، ص٢٢ .

(٢٠) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقيـة والمغرب . تحقيـق المنجى الكعبـى . تونس ١٩٦٧ ص٦١ — ٦٢ ، الحمـيرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار . تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ص٦٦ . كذلك انظر : رضوان البارودى : جبل الاوراس منـذ الفتـح العربى تحت الغـزوة الهـلالية . الاسكندرية ١٩٨٥ ص٢٢ — ٢٣ .

(٢١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص٢٠١ ، أبو عبد الله بن صـالح: نص جديد عن فتح العرب للمغرب نشره ليفى بروفنسال وعلق عليه حسين مؤنس . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٥٤ ص٢٣ .

والاندلس [٣٣] وبذلك تمكن حسان من توجيه ضربة قوية الى النصرانية فى بلاد المغرب • وعندما فكر حسان فى بناء مدينة عربية أسلامية مكان قرطاجنة لتصبح دار صناعة اسلامية ، أرسل الى الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦هـ / ٦٨٥ — ٧٠٥م) يطلب ألف أسرة قبطية من أقباط مصر ، فكتب الخليفة الى أخيه عبد العزيز بن مروان والى مصر « بأن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطى بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهى تونس ••• فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس »[٢٣] • وقد اتخذ هؤلاء الاقباط المصريون طريقهم الى تونس برا ، ثم شرعوا فى بناء دار الصناعة الاسلامية بتونس مستعينين فى ذلك بخبرتهم الكبيرة فى هذا المجال ، فقد اشتهروا كنجارين وعمال مهرة ومقلفطين وقصارى الاقمشة ، كما تخصصوا فى سد الثغرات فى السفن واستخدام المسامير الحديدية فى بنائها [٢٤] • وقد أرسل حسان فريقا من هؤلاء الاقباط الى مرسى رادس بالقرب من موضع قرطاجنة القديم ، ووزع الفريق الباقى على مراسى افريقية ، ثم أجرى البحر من رادس الى موضع دار الصناعة ، وجلب البربر الاخشاب اللازمة لصناعة السفن،

---

(٢٢) المالكى : رياض النفوس جا ص٣٧ — ابن عذارى : البيان المغرب جا ص ٣٥ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١١٠ •

(٢٣) البكرى : المصدر السابق ص٣٨ • ويذكر الرقيق القيروانى (وعنه ينقل التجانى) ان عبد الملك أمر عبد العزيز بأن يوجه الى حسان الف قبطى وألف قبطية يستعين بهم • راجع : الرقيق القيروانى ص٦٦ ، التجانى : الرحلة — تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب : تونس ١٩٥٨ ص٦ •

(٢٤) احمد مختار العبادى ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، بيروت ١٩٧٢ جا ص٦ ٥

وأمر القبط بعمارتها فى الميناء المتصل بالبحيرة وأصبحت البحيرة متصلة بالبحر(٢٥) .

ولاشك أن هذه الاسرات القبطيــة استقرت فى افريقيــة ، لأن الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد وافق على ارسال هؤلاء الصناع مصحوبين بأسرهم ، مما يدل على رغبته فى استقرارهم فى افريقية . وعلى الرغم من أن المصادر التى بين أيدينا تصمت ولا تتحــدث عن مصير هذه الاسرات القبطية بعد فراغها من انشاء دار صناعة تونس الا أنه يبدو أنهم انتشروا على سواحل افريقية والمغــرب كما أشار التجانى الى ذلك(٢٦) .

واسم مدينة تونس التى أنشئت على يد حسان بن النعمان فى حد ذاته يرتبط ارتباطا وثيقا بدير للنصارى كان قائما فى ذلك الموقع، فقد ذكروا أن حسانا أطلق عليها هذا الاسم بسبب وجود صومعــة للرهبان كانت تقع فى نفس الموضع الذى أسست فيه المدينة كان الناس يلجأون اليها ويقيمون بجوارها فيأنسون بترانيم رهبانهــا ، ولهــذا كانوا يقولون أن هذه الصومعة تؤنس فعــرفت المدينــة لذلك باسم «تونس»(٢٧) . وعلى الرغم من الطابع القصصى لهذه الرواية ، الا أنها

---

(٢٥) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ج٢ ص٣١ . وعن دار صناعة تونس ومساعدة اقباط مصر فى انشائها راجع :

G. Marçais : Les villes de la Côte Algerienne et la Piraterie au Moyen âge, dans A.I.E.O. (Annale de. Institut d'Etudei Orientales) Alger, XIII, 1955, P.P. 127-128

(٢٦) التجانى : الرحلة ص٦ — انظر كذلك : سعد زغلول : المرجــع السابق ج١ ص٢٣٤ .

(٢٧) لم يقتصر الاصل المسيحى على اسم المدينة فقط ، بل أن جامعها الشهير وهو جامع الزيتونة ينسب الى قديسة مسيحية عاشت زمن

تشير الى وجود طائفة من الرهبان المسيحيين فى موقع تونس القديم، كما يمكن أن تعطى تفسيرا مقبولا لاسم هذه المدينة العربية، ونستدل على وجود كنائس مسيحية بافريقية من عدة نصوص وردت فى المصادر العربية ، فابن عبد الحكم يشير الى وجود كنيسة عظمى بطرابلس عندما قام العرب بفتح طرابلس[28] . أما البكرى فيحدثنا أن حسان ابن النعمان اتخذ بمحراب جامع القيروان ساريتين حمراويتين موشاتين بصفرة أحضرهما من كنيسة قديمة كانت فى الموضع المعروب باسم القيسارية ونصبهما فى عضادتى محراب الجامع[29] . كذلك وجدت كنيسة للنصارى فى مدينة القيروان فى عصر الاغالبة ، ويعنى ذلك وجود بعض المسيحيين المقيمين فى هذه المدينة[30] . أيضا وجدت آثار كنائس قديمة فى مدينة باجه بالقطر التونسى ، حيث أشار كل من البكرى وصاحب كتاب الاستبصار الى أن من قرى مدينة باجه قرية للبربر تسمى المغيرية « قرية شريفة بها آثار عظيمة عجيبة للأول من كنائس قائمة البنيان محكمة العمل ، كأنما رفعت عنها الأيدى بالأمس وكلها مفروشة بالرخام النفيس»[31] . ومن المدن التونسية التى وجدت بها كنائس قديمة مدينة صفاقس ، ومن الطريف أن نذكر أن الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠هـ/٩١٢ — ٩٦١م) قد جلب السوارى الوردية والخضراء التى استخدمها فى بناء مدينة الزهراء

= الوندال كانت تسمى القديسة أوليفيا اى القديسة زيتونة . راجع : عبد العزيز سالم : المغرب الكبير. العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص٢٤٩ .

(٢٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها : ص١٧١ .

(٢٩) البكرى : ص٢٢ .

(٣٠) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية . تحقيق محمد بن ابى شنب . الجزائر ١٩١٤ ص٢٤٤ .

(٣١) البكرى : ص٥٧ — الاستبصار لمؤلف مجهول : ص١٦٠ — ١٦١ .

بجوار قرطبة من كنيسة صفاقص[32] . وهناك بعض النصوص تشير الى وجود بعض النصارى فى مدينة تلمسان فى القرن الخامس الهجرى (١١م) كانت لهم كنيسة يقيمون فيها شعائرهم[33] . كذلك وجدت بقايا كنائس فى مدينة سبتة فى القرن الخامس أيضا ، كما أن جامعها كان فى الاصل كنيسة ، وبالقرب من هذا الجامع مكان يسمى الكنيسة[34] .

ونستدل على أن طوائف من بربر المغرب كانت تدين بالمسيحية من اقدام موسى بن نصير الذى ولى المغرب بعد حسان على اخضاع عدد من القبائل البربرية فى المغرب الاقصى كانت تدين بالنصرانية فاعتنقت الاسلام على يديه ومنهم بربر من مدينة أغمات الذين نبذوا ديانتهم المسيحية ودخلوا فى الاسلام[35] . والواقع أن الاسلام انتشر فى بلاد المغرب انتشارا سريعا منذ ولاية موسى بن نصير ، ويبرر أحد المؤرخين المحدثين ذلك بأنه لم يكن من الصعب على الاسلام بمبادئه التى تدعو الى المساواة أن يقضى على المسيحية بسهولة فى المغرب ، خاصة بعد أن خرجت المسيحية مع البيزنطيين عند جلائهم عن المناطق الساحلية التى كانوا يحتلونها[36] . ولكن خروج البيزنطيين عن البلاد لا ينهض مبررا لحمل الطوائف المسيحية من البربر على نبذ المسيحية واعتناق

(٣٢) المقرى (ابو العباس احمد) : ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض : تحقيق: ابراهيم الابيارى واحمد السقا ، القاهرة ١٩١٩ جـ٢ ص٢٧٠ .

(٣٣) البكرى : ص ٧٦.

(٣٤) نفس المصدر ص١٠٤، ١١٣ — ١١٤ — الحميرى: الروض المعطار ص٣٠٢ .

(٣٥) انظر : عبيد الله بن صالح : النص الجديد ص٢٢٤ — انظر ايضا: العدوى : المجتمع المغربى ص١٣٥ .

(٣٦) سعد زغلول : المرجع السابق جـ١ ص١٢٦ — هوبكنز : النظم الاسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى . ترجمة محمد امين الطيبى ، ليبيا ١٩٧٧ ص١١٩ .

الاسلام ، ومن المرجح أن سياسة العنف التى اصطنعها موسى بن نصير مع البربر هى التى أدت الى أن ينبذوا ديانة لم تكن قد رسخت فى قلوبهم ، ولاننسى أن حسان كان قد سير عددا من التابعين الى القبائل لتعليم البربر قواعد الاسلام • ومع ذلك فقد حافظت فئات من المسيحيين البربر على دينهم ، وهذه الفئات كانت تتوزع فى مناطق متفرقة فى كافة أنحاء المغرب • وللأسف لا نجد فى مصادرنا العربية أخبارا عن هؤلاء المسيحيين الا نادرا ، وسنحاول خلال الصفحات القليلة القادمة أن نتتبع أخبار هذه العناصر :

ب — مراكز استقرار المسيحيين فى المغرب بعد الفتح العربى :

تمثلت بعض الطوائف المسيحية فى المغرب بعد الفتح العربى فى عدة مراكز منها واحة الفرفرون وهى واحة داخلية كثيرة الاشجار والنخيل تضم عددا من القرى وكان أهلها أقباط نصارى[٣٧] • ويذكر صاحب الاستبصار أن الواحات الليبية تضم قبائل من لواته وأنهم من الاقباط[٣٨] • كما توجد مدينة يسميها البكرى بهنسى الواحات — ويشير الى أنها غير مدينة البهنسا المصرية — وهى مدينة مسورة ، وأن أصلها عرب مسلمون وقبط نصارى ، ويضيف البكرى رواية طريفة عن أهل هذه المدينة ، فيذكر أن رجلا من أهل مدينة صفاقس دخلها ورأى فيها فى يوم عيد النصارى تابوتا فيه رجل ميت يجعلونه على

---

(٣٧) البكرى : ص ١٥ ومن المعروف أن كلمة قبطى كلمة يونانية تعنى مصرى ، وقد اطلقت على اهل مصر خاصة عندما اعتنقوا الديانة المسيحية ، وربما كان البكرى يقصد بأهل الفرفرون الاقباط النصارى انهم النصارى المصريون الذين نزحوا من بلادهم الى منطقة الواحات الليبية •

(٣٨) مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٤٨ •

عجلة يسمونه ابن قرمى ويزعمون أنه من الحواريين يتطوفون به فى سكك البلد ويتبركون بذلك الى الله ، وتجر تلك العجلة البقر فان نفرت من موضع ولم تسر فيه علموا أن فى هذا الموضع نجاسة[39] .

وكانت مدينة اجدابيه هى الأخرى احدى المناطق التى نزلهــا النصارى ، فقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها مدينة كبيرة طيبـــة الهواء والماء وبها بسلتين ونخل وبها فنادق وحمامات كثيرة وأهلها ذوى يسار وأكثرهم أقباط[40] . كما أقام حول مدينة طرابلس أقوام من القبط فى زى البربر وكلامهم باللغة القبطية[41] . وفى بلاد الجريد كان يعيش جماعة من النصارى ، حيث يشير التجانى عند حديثه عن هذه المنطقة أن العرب فتحوها صلحا ، ويضيف أنه مما يؤكد أنهــا فتحت صلحا بقاء « كنائس النصارى بها خرابا الى زماننا (القرن الثامن الهجرى/الرابع عشـــر الميلادى) هذا لم يتصرف فيهـــا ، وأن المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة مسجدا »[42] . ومن مدن بلاد الجريد التى استقر بها جماعات نصرانية مدينة قابس ، حيث يشير البكـــرى الى وجود بعـــض الأفارقة يقطنون بهـــا . ويفسر جوتييه فى كتابه « ماضى افريقيا الشمالية » لفظ الأفارقة بأنهم بقايا سكان قرطاجنة القديمـــة وكانوا يدينون بالمسيحيـــة ويتحـــدثون اللغـــة اللاتينيـــة

---

(٣٩) البكرى : ص١٤ — ١٥ .

(٤٠) مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٤٤ — الحميرى : الروض المعطار ص١٢ .

(٤١) البكرى : ص٧ — كذلك أنظر : عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى بلاد المغرب . القاهرة ، ١٩٨٣ ص١٠٤ .

(٤٢) التجانى : الرحلة ص١٦٢ .

الافريقية[٤٣] • وبالاضافة الى قابس وجد هؤلاء الأفارقة فى قفصه ونفطه وتيقيوس والحامه ومنستير عثمان وتوزر[٤٤] •

وكان هؤلاء الأفارقة يشتغلون بزراعة الزيتون واستخراج زيته ، كما عملوا بزراعة الحبوب ، بالاضافة الى اشتغالهم ببعض الصناعات التقليدية[٤٥] • وهناك رواية طريفة يرويها كل من أبى العرب تميم والدباغ تشير الى اشتغال هؤلاء الأفارقة النصارى بتجارة زيت الزيتون • ومفاد هذه الرواية أن البهلول بن راشد زاهد المغرب (ت ١٨٣هـ/٨٠٠م) دفع دينارين لرجل وطلب منه أن يشترى له بهما من الساحل زيتا من نوع جيد ، وقد ظل هذا الرجل يبحث عن أجود أنواع الزيت حتى وجده عند أحد التجار النصارى ، فسأل التاجر النصرانى الرجل لمن سيحمل هذا الزيت ، فأجابه أنه للبهلول بن راشد، فقال له التاجر النصرانى : نحن نتقرب الى الله بالبهلول كما تتقربون به الى الله ، وأعطاه مقدارا كبيرا من الزيت يفوق قيمة الدينارين • ولما علم البهلول بذلك رفض أن يأخذ هذا الزيت وطلب من الرجل أن يرد عليه الدينارين وقال : خشيت أن آكل زيت النصرانى فتحدث له مودة فى قلبى فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير[٤٦] •

---

(٤٣) E.F. Gautier : Le Passé L'Afrique du Nord : Le Siecles Obscurs du Maghreb, Paris, Payot, 1927 — P. 97.
كذلك انظر : عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٤١٩ •

(٤٤) البكرى : ص٥٦ •

(٤٥) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : جـ٢ ص٥٣ •

(٤٦) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية • تحقيق محمد بن أبى شنب • الجزائر ١٩١٤ ص٥٦ — ٥٧ — الدباغ : معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان : جـ١ ص ٢٠٠ •

كما يذكر ابن خلدون أن سكان قرى توزر وبعض نواحى قسنطينة كانوا من بقايا قبيلة نسزاوه ، ويقيم معهم معاهدون من الفرنجة الذين ينسبون الى سردانية نزلوا على حكم الجزية والذمة منذ الفتح وبهــ أعقابهم حتى القرن الثامن الهجرى (١٤م)(٤٧) . وفى مدينة سوســه عرف أحد أزقتها باسم زقاق الروم ويقع بالقرب من مسجد المدينــة. وهؤلاء الروم هم من العناصر البيزنطية والرومانية التى فضلت البقاء فى افريقية بعد الفتح العربى والتمتع بحماية الدولة الاسلامية(٤٨) .

جـ ـ أوضاع المسيحيين فى المغرب الاسلامى حتى بداية عهد المرابطين :

تحددت وضعية النصارى فى المغرب فى العصر الاسلامى ، فعلى الرغم من قلة أعداد المسيحيين ، فقــد طبقت عليهم أحكام الشريعــة الاسلامية فيما يختص بمعاملة أهل الذمة . ولما كان المذهب المالكى هو المذهب الأكثر شيوعا وانتشارا فى بلاد المغرب ، فقد طبــق على هؤلاء النصارى الفقه المالكى وأحكامه . وتتضمن مدونة سحنون(٤٩) المسماه «المدونة الكبرى» العديد من الاحكام حول أوضاع أهل الذمة من وجهة نظر الفقه المالكى . وعلى الرغم من أن هذه المدونة عبارة عن أسئلة واجابات ، الا أنها غطت كافة الموضــوعات الفقهية ، ومن ضمنها وضعية أهل الذمة . فعلى سبيل المثال تناولت المدونة موضوع الارث بين أهل الذمة ، وطعام أهل الذمة ، وزواجهم وقضاءهم وغير

---

(٤٧) ابن خلدون : العبر : جـ٦ ص١١٦ ، ص٤١٩ .

(٤٨) حسن حسنى عبد الوهاب : المرجع السابق جـ٢ ص٥٢ .

(٤٩) سحنون : هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ، من كبار فقهاء المالكية بالمغرب . ولد عام ١٦٠هـ/٧٧٦م وتتلمذ على كبار علماء القيروان وخاصة البهلول بن راشد ، ثم رحل الى تونس حيث أخذ عن على بن زياد . وقام برحلة الى مصر حيث لقى =

ذلك من الموضوعات التى تنظم حياتهم فى ظل الدولة الاسلامية[٥٠] . وقد خضع أهل الذمة من المسيحيين أو اليهود فى بلاد المغرب لرقابة المحتسب ، فكان يلزمهم بنهج معين فى لباسهم وزيهم وفى أبنيتهم وفى ممارسة شعائرهم وحتى فى نشاطهم التجارى[٥١] . وقد تمتع المسيحيون فى المغرب بقدر من الاستقلال الادارى والثقافى ، فكان من حق هؤلاء المسيحيين أن ينظموا شئونهم بأنفسهم ووفق مشيئتهم ، وكان لهم نظمهم المالية والقضائية وشئون شعائرهم الدينية والاعمال الخيرية والتعليم وتطبيق الاحوال الشخصية ، وحتى الحقوق العينية بالنسبة لأفراد الطائفة فيما بينهم[٥٣] .

= تلاميذ مالك وأخذ عنهم . وأدى فريضة الحج وعاد الى القيروان عام ١٩١هـ/٨٠٧م . وقد تولى قضاء القيروان عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م بعد امتناع دام عاما كاملا . وقد توفى فى رجب عام ٢٤٠هـ/ديسمبر ٨٥٤م وصلى عليه الامير محمد بن الاغلب . راجع المالكى: رياض النفوس جا ص٢٤٩ ، القاضى عياض : ترتيب المدارك ج٤ ص ٤٥ — ٨٨ .

(٥٠) راجع المدونة الكبرى لسحنون فى مواضع مختلفة .

(٥١) لقبال موسى : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب : الجزائر ١٩٧١ ص٢٧ ، ص٧٢ .

(٥٢) روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى : ترجمة وتعليق حمادى الساحلى . بيروت ١٩٨٨ جا ص٤٤٧ . ومن الملاحظ ان اهل الذمة من النصارى فى الاندلس كانوا يتمتعون بقدر اكبر من الحرية ، فقد كان لكل مدينة رئيس منهم يسمى القومس ، وكان هؤلاء القوامسة المحليين ينتخبهم النصارى فى كل مدينة . وهذا لا نجده عند المسيحيين فى بلاد المغرب ، وربما كان السبب فى ذلك — كما ذكرنا فى المتن — قلة أعدادهم وضعف =

أما عن دور أهل الذمة المسيحيين فى أحداث بلاد المغرب فى هذه الفترة فهو محدود للغاية ، نظرا لقلة أعدادهم من ناحية ، وضعف تأثيرهم فى مجريات الامور من ناحية أخرى • ففى خلال الفترة التى تولى فيها المهالبة افريقية (من ١٧١ – ١٧٩هـ/٧٨٧ – ٧٩٥م) لا نسمع عن هؤلاء النصارى شيئا باستثناء الاشارة الى طبيب نصرانى يسمى يحيى أو يوحنا اصطحبه المهالبة معهم من المشرق ، وهو أول طبيب مشرقى يمارس الطب فى افريقية(٥٣) •

وفى عهد دولة الأغالبة تمتع النصارى بمكانة طيبة فى المجتمع الأغلبى بفضل ثقافتهم التقليدية الموروثة منذ العصر الرومانى(٥٤) • فقد ذكر اليعقوبى أن بقايا الحاميات البيزنطية أخذت فى الاندماج تدريجيا فى المجتمع(٥٥) • وفى بداية عهد الدولة الأغلبية ، حدثت ثورة

= تأثيرهم فى مجريات الامور • راجع : حسين مؤنس : فجر الاندلس، الطبعة الثانية • جدة ١٩٨٥ ص٤٥٩ – ٤٦١ ، عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الاندلس ، الاسكندرية ص١٧٦ •

(٥٣) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص٢٩ – انظر كذلك : محمد الطالبى : الدولة الاغلبية • نقله الى العربية المنجى الصيادى ، بيروت ١٩٨٥ ص٤٧ •

(٥٤) ذكر محمد الطالبى – نقلا عن ج• ش• بيكارد G. Ch. Picard أن النصارى تحت حكم الاغالبة كانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من السكان ، وأن افريقية فى عهد الاغالبة بمدنها الكثيرة وبواديها العديدة المزدهرة وأهاليها النصارى العديدين الذين مازال لهم نفوذ ، لم تختلف كثيرا عن افريقية زمن القديس اوغسطين • راجع محمد الطالبى ، المرجع السابق ص١٣٧ •

(٥٥) اليعقوبى : كتاب البلدان (طبع بيروت) ج٢ ص٤٣ – أندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج٢ ص٦١ – ٦٢ •

أشعل نيرانها شخص يسمى منصور الطنبذى ، شارك الاقباط فى أحداثها • وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر الى ذلك صراحة ، الا أننا بمكننا أن نستنتج ذلك من خلال أبيات من الشعر قالها الفقيه عبد الله ابن أبى حسان اليحصبى[٥٦] نطالع فيها :

أباح طغام الجند مهلا حريمنا
وشقوا عصا الاسلام من كل جانب
وعاثوا وجاروا فى البلاد سفاهة
وظنوا بأن الله غير معاقب
ولو أنهم عرب كرام لدافعت
نفوس كرام عن مريم الأعارب
ولكنهم أوباش كل قبيلة
وقبط وأغنام لئام المناسب [٥٧]

وفى عهد الأمير ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى أول أمراء بنى الأغلب (١٨٤ — ١٩٦هـ/٨٠٠ — ٨١٢م) ، عمل الكارولنجيون على الافادة من صلاتهم الطيبة بالدولة العباسية فى حماية العناصر المسيحية فى المغرب الأدنى ، فقد استغل شارلمان أمبراطور الغرب صلاته الطيبة بالخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ/٧٨٧ — ٨٠٨م) ، وعمل على مساعدة نصارى افريقية بالأموال والهبات • ويشير اينهارد Einhard — الذى دون تاريخ حياة شارلمان — الى تلك المساعدات

---

(٥٦) راجع ترجمة فى : طبقات علماء افريقية لأبى العرب تميم ص٨٧ — ٩٠ •

(٥٧) المالكى : رياض النفوس : جا ص٢٠٣ •

التى قدمها شارلمان لمسيحيى قرطاجنة (تونس)(٥٨) • ويعلق أحد المؤرخين المحدثين على تلك المساعدات بالقول بأن « شارلمان بهذه الخطوة ، قد حقق نجاحا دبلوماسيا كبيرا ، فقد ظهر بمظهر الحامى للمسيحيين فى شمال افريقيا المرتبطين بالكنيسة الرومانية التى كان شارلمان حاميا لها »(٥٩) • ولم يقتصر اهتمام شارلمان بمسيحيى افريقية على مجرد تقديم المساعدات المالية لهم ، بل أنه عمد الى استرجاع رفات القديس سيبريان الذى استشهد أثناء اضطهاد الرومان للمسيحية فى القرن الثالث الميلادى ودفن فى افريقية • ولذلك فقد شارك شارلمان الكنيسة الأوروبية اهتمامها فيما عرف باسم تقديس الرفات أو الآثار Cùte des Reliques ، وأرسل سفارة من لدنه الى افريقية أيام الأغالبة للبحث عن رفات هذا القديس(٦٠) •

وعندما شرع الأمير زيادة الله بن الأغلب (٢٠١ — ٢٢٣هـ/ ٨١٧ — ٨٣٨م) فى زيارته بجامع القيروان ، جلب لها الأساطين المجزعة بالبياض والسواد الشديدين من الكنائس القديمة فى أنحاء افريقية(٦١)• ويشير أندريه جوليان الى أن الأغالبة اعتمدوا فى تشييد كثير من مبانيهم على قدماء العبيد النصارى الذين أصبحوا فيما بعد موالى لهم(٦٢) • ويبدو أن هؤلاء النصارى العاملين فى خدمة الأغالبة قد أثاروا

(٥٨) Einhard and Notker : The Stammerer two Life of Charlemagne, Trans. with an Introudction by : Lewis Thorpe, London, 1974 P. 80.

(٥٩) محمد الطالبى : الدولة الاغلبية ص٤٣٨ — ٤٣٩ •

(٦٠) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جا ص١١٧ ح٢٥٤ •

(٦١) نفس المرجع السابق ج٢ ص٧٤ •

(٦٢) جوليان : المرجع السابق : ج٢ ص٦٦ •

مشكلة العمل يوم الأحد ، فقد سئل محمد بن سحنون عن اجبار المسيحيين على العمل يوم الأحد وهل يجوز ذلك فأجاب بنعم لأن الامتناع عن العمل يوم الأحد ليس جزءا من دينهم(٦٣) •

وتصادفنا فى عهد الأمير الأغلبى أبى العباس محمد بن الأغلب (٢٢٦ — ٢٤٢هـ/٨٤١ — ٨٥٦م) حادثة لها مغزاها ، فقد اشترط الامام سحنون حينما قبل أن يقوم بمهمة القضاء للأمير الأغلبى ، ألا يأخذ راتبا أو مكافأة من مال الدولة على قضائه ، حيث كان يرى عدم شرعية مال السلطان ، ولكنه أشترط أن تكون رواتب مساعديه والقضاة المعاونين له سواء فى القيروان أو فى الاقاليم من مال الجزية المفروضة على أهل الذمة من اليهود والنصارى(٦٤) • وهذا يعنى أن سحنونا كان يرى أن الجزية هى الضريبة الشرعية الوحيدة التى لم يدخلها غش فى ذلك الوقت •

أما فى عهد الأمير ابراهيم بن أحمد (٢٦١ — ٢٨٩هـ/٨٧٥ — ٩٠٢م) فنسمع عن قاضى طرابلس أبى الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان الذى رفض أن يقرض الأمير الأغلبى أموال اليتامى التى فى حوزته ، فقبض عليه وحبس لعدة أشهر فى كنيسة تونس(٦٥) ، ثم أطلق سراحه

---

(٦٣) R. Marston Speight : The Place of the Christians in Ninth Century in North Africa according to Muslim Sources, Revue : Islamo-Christiana, Roma, 1978 P. 53.

(٦٤) المالكى : رياض النفوس : جا ص٢٧٥ — القاضى عياض : ترتيب المدارك ج٤ ص٥٩ . كذلك أنظر : محمد الطالبى : تراجم أغلبية مستخرجة من ترتيب المدارك للقاضى عياض ، تونس ١٩٦٨ ص١٠٢ •

(٦٥) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص١٥٩ — الدباغ : معالم الايمان ج٢ ص٢٣١ •

بعد ذلك • وقد قال الأمير الأغلبى : مثل هذا لا يسجن مع السراق • ويبدو أن هذه الكنيسة كانت مستخدمة فى زمن الأغالبة كسجن يحبس فيه المجرمون — وفى ذلك ما يشير الى أنها كانت كنيسة أثرية قديمة ربما مهجورة •

وفى عهد هذا الأمير أيضـا نسمع عن مصـرع أحد أهل الذمه النصارى ، حيث رفض أن يعمل كصاحب ديوان الخراج لدى الأمير ابراهيم • وقد ذكر ابن عذارى هذه الحادثة فقال • « وعرض ديوان الخراج على سوادة النصرانى على أن يسلم ، فقال ما كنت لأدع دينى على رياسة أنالها فقطع بنصفين وصلب »(٦٦) • والواقع أن هذا الخبر يوضح لنا أن الأغالبة لم يجدوا حرجا فى الاستعانة بالنصـارى فى بعض الوظائف الادارية والمالية خاصة ما يتعـلق بجباية الضـرائب والخراج • ومن المرجح أن ذلك يرجع الى براعة هؤلاء النصارى فى الشئون المالية ، أو لأن الأمير أراد أن يسند هذا العمل الى أشخاص لا تربطهم بدافعى الضـرائب أو الخراج أية عصبية سـوى عصبية المنافسة(٦٧) • كما استخدم الأغالبة أيضا بعض النصارى فى العمـل بدار الضرب الأغلبية(٦٨) •

ومن الشخصيات المسيحية التى برزت فى افريقية فى عصر دولة الأغالبة ، نذكر القـديس ايلى Saint Eli (٨٢٣ — ٩٠٣م) • وكان هذا الرجل قد أسر خلال هجوم شنه الاسطول الأغلبى على مدينـة قصريانه بصقلية ، وبيع فى افريقية حيث اشتراه تاجر نصرانى من

---

(٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب : جا ص١٢٢ .

(٦٧) هوبكنز : النظم الاسلامية فى المغرب ص ١١٠ — ١١١ .

(٦٨) Marston Spoight : Op. Cit. P. 50.

تونس • ويذكر مؤلف سيرة القديس ايلى أن هذا التاجر خرج فى رحلة بعيدة للتجارة ، وترك ايلى ليباشر تجارته بافريقية ، وقد قاوم ايلى اغراء زوجة التاجر مثلما قاوم سيدنا يوسف اغراء زوجة العـزيز ، ولقى من جراء ذلك متاعب عديدة حتى ظهرت براءته ، واضطر ايلى الى ترك افريقية ورحل الى البقاع المقدسة بفلسـطين ، ثم عاد مرة ثانية الى افريقية حيث مكث فترة من الوقت ، ثم غادرها الى صقلية التى كانت تابعة لبنى الأغلب فى ذلك الوقت ، حيث توفى ودفن فى مدينة طارومين(٦٩) • وعلى الرغم من الطابع القصصى لسيرة القديس ايلى ، الا أننا يمكن أن نستنتج منها أن المسيحيين كانوا يشكلون جزءا من المجتمع الأغلبى ، وكان لهم مطلق الحرية فى العمل بالتجارة والتنقـل من مكان لآخر سواء داخل حدود الدولة الأغلبية أو خارجها •

وعلى الرغم من هذه السياسة القائمة على التسامح والتى اتبعها الأغالبة تجاه أهل الذمة من النصارى ، الا أننا نسمع عن بعض الحوادث التى توضح أن أولئك المسيحيين قابلوا تسامح الأغالبة بنـوع من الجحود • فحينما شرع ابراهيم بن الأغلب فى بناء أسطول قوى يواجه به الاساطيل البيزنطية ، نقل نصارى افريقية أخبار هذه الاستعدادات الأغلبية لقائد الاسطول البيزنطى المقيم فى صقلية ، فأخذ البيزنطيون فى تعزيز بحريتهم تحسبا لهجوم الأغالبة(٧٠) •

ويروى ابن الأثير أن الأمـير زيادة الله بن الأغلب سـير عام ٢٢٢هـ/٨٣٧م أسطولا من افريقية الى صقلية بقيـادة أبى الأغلب بن

---

(٦٩) محمد الطالبى : الدولة الاغلبية ص٥٨٥ — ٥٨٦ •

(٧٠) عزيز أحمد : تاريخ صقلية الاسلامية • ترجمة أمين توفيق الطيبى، ليبيا ١٩٧٩ ص١٢ •

عبد الله ، فبعث أبو الأغلب قسما من هذا الاسطول الى قوصرة ، فاستولى على حراقة للروم وجد فيها رجلا من النصارى من أهل افريقية فأمر بضرب رقبته هو ومن معه(٧١) .

أما تاهرت حاضرة الرستميين بالمغرب الأوسط ، فكانت شأن غيرها من مدن افريقية تضم جماعات من بعض النصارى . ويذكر ابن الصغير المالكى أن الامام عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية (١٤٤ — ١٦٨هـ/٧٧١ — ٧٨٤م) كان ينظر فيما يجتمع اليه من مال الجزية والخراج ، فيقتطع لنفسه ولحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم من سنته(٧٢) . وهكذا كانت الجزية من الموارد الرئيسية عند الرستميين(٧٣) . كما كان للنصارى فى تاهرت حى خاص بهم يعرف باسم الكنيسة أقيم على مكان مرتفع فى المدينة ، بنوا فيه منازل وقصور(٧٤) . ويبدو أن نصارى الدولة الرستمية كانوا مقربين من الأئمة الرستميين ، فقد ذكر ابن الصغير أن الامام أبا بكر ابن أفلح الرستمى (٢٣٨ — ٢٤١هـ/٨٥٢ — ٨٥٥م) حينما بلغه خبر ثورة محمود بن الوليد ضده ، بادر باستنفار أعوانه من الرستميين والمسيحيين(٧٥) . كما كانت حاشية الامام أبى حاتم يوسف (٢٨١ —

---

(٧١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، طبعة دار صادر ، بيروت جـ ٥ ص٣٢٨ . أنظر كذلك : ميشيل امارى : المكتبة الصقلية ص٢٢٦ .

(٧٢) ابن الصغير : أخبار الائمة الرستميين . تحقيق وتعليق محمد ناصر وابراهيم بحاز ، بيروت ١٩٨٦ ص٤١ — ٤٢ .

(٧٣) أندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، جـ٢ ص٤٥ .

(٧٤) ابن الصغير : المصدر السابق ص٧٩ .

(٧٥) نفس المصدر والصفحة .ولكن الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ذكر أن لفظ المسيحيين هنا عبارة عن تحريف من الناسخ وأن صحتها =

٢٩٤هـ/٨٩٤ — ٩٠٦م) تضم مجموعة من النصارى بالاضافة الى بعض الاعيان • وكان أحد هؤلاء النصارى فارسا مشهورا يعتبر من حماة المدينة يسمى بكر بن الواحد(٧٦) • ونستدل على التأثير القوى للطائفة المسيحية فى دولة بنى رستم بما ذكره أندريه جوليان اذ يقول أن فن بنى رستم قد تأثر فى زخارفه بزخارف الأديرة القبطية المصرية ، وأن عناصر الفن الرستمى كانت متأثرة بالمبانى المصرية المعاصرة لها(٧٧) •

كذلك كان بعض الأئمة الرستميين يحفظون الانجيل ويعرفون معناه ، فقد ذكر أبو زكرياء أن الامام يعقوب بن أفلح حينما طرد من تاهرت ، وصل الى ورقله(٧٨) (أو ورجله أو ورجلان) حيث اشتهر بين أهلها بالعلم والتقوى وحفظ القرآن • وقد سأله أحد أهل ورقله : هل تحفظ القرآن كله ؟ فأجاب : « معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه ، فكيف بكتاب الله ؟»(٧٩) •

= السمحيين ، ويقول أن السبب فى هذا الخطأ هو وجود الموضع المعروف باسم الكنيسة بتاهرت . ولكننا نعتقد أن ما ذكره ابن الصغير صحيحا على اساس أن تاهرت كانت تضم عددا لا بأس به من المسحيين ولا مانع ان يستعين بهم الامام لدفع خطر أعدائه . راجع : سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ج٢ ص٣٥٩ •

(٧٦) ابن الصغير : المصدر السابق ص١٠٧ •

(٧٧) أندريه جوليان : المرجع السابق ج٢ ص٤٣ •

(٧٨) ورقله Ourgla : احدى واحات بلاد الزاب ، تقع فى الجنوب الشرقى لبلاد الجزائر الحالية ، اشتهرت بأنها كانت من مراكز الاباضية الشهيرة ببلاد المغرب •

(٧٩) أبو زكرياء : كتاب سير الأئمة وأخبارهم • تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩ ص١٢٤ •

أما فى عهد الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى ، فتذكر المصـــادر أن الامام ادريس بن عبد الله مؤسس الدولة ، حينما استقر بمدينة وليـــلى قام بغـــزو بلاد تادلا عام ١٧٢هـ/٧٨٩م ، فافتتح معاقلهـــا وحصونها ، وكان أكثر أهل هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية ، أما الاسلام فقليل بها ، فأسلم الجميع على يديه[٨٠] وعاد الى وليلى • ثم قام فى المحرم من العام التالى بغزو من بقى بالمغرب من البربر على دين النصرانية والمجوسية « وكان قد بقى منهم بقية متحصنون فى المعاقل والجبال المنيعة ، فلم يزل الامام أدريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى أدخلوا فى الاسلام طوعا وكرها »[٨١] • كذلك تشير بعض الروايات العربية الى أن الامام أدريس الأكبر حينما شرع فى بناء مدينة فاس ، خرج يرتاد موضعا يصلح لبنائها فمر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارى كان يقيم فى تلك المنطقة ، قد نيف على مائة وخمسين عاما ، كان مترهبا فى صومعته بالقرب من تلك الجهة • وقد أخبر هذا الراهب الامام أدريس أنه فى هذا الموضـــع ستتبنى مدينـــة كبرى يبنيها أحد سلالة رسول الله ﷺ[٨٢] • وعلى الرغم من الطابع الأسطورى لهـــده

---

(٨٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر تورنبرج ، أوبسالا ١٨٤٣م ، ص٧ . كذلك أنظر : لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعمـــال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . القسم الثالث ، نشـــر أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتـــانى ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ص١٩١ .

(٨١) ابن أبى زرع : المصدر السابق ص٧ ، ابن خلـــدون : العبر ج٦ ص١٠٧ .

(٨٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ص٩ .

الرواية أيضا ، الا أنها تشير الى وجود النصارى فى هذه المنطقة • ومما يؤيد ذلك أن الامام أدريس اشترى الأرض التى بنيت عليها مدينة فاس من قبيلتين من زناتة : زواغه وبنى يرغش « وكانوا أهل أهواء مختلفة منهم على الاسلام ومنهم على النصرانية ومنهم على اليهودية »[٨٣] • كذلك سمى أحد أبواب عدوة الأندلسيين بمدينة فاس باسم باب الكنيسة وهو باب شرقى يقابل ربض المرضى ومنه كان يتوجه الى تلمسان[٨٤] •

أما فى عهد الدولة الفاطمية بالمغرب ، فلا يصادفنا شىء يتعلق بالمسيحية أللهم الا تلك الحادثة التى رواها ابن عذارى وتشير الى أن أبا عبد الله الشيعى داعى الفاطميين بالمغرب ، لما استولى على مدينتى طبنه وبلزمه فى ذى الحجة عام ٢٩٣/سبتمبر ٩٠٦م ، أحضر له الجباه المغارم فسأل أحدهم عن هذه الاموال ، فقال له الجابى « جبيته عن اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم ، فقال كيف أخذته عينا وانما كان يأخذ رسول الله ﷺ من المليء ثمانية وأربعين درهما ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما ومن الفقير أثنى عشر درهما • فقال أخذت العين عن الدراهم بالصرف الذى كان يأخذه عمر رحمه الله • فقال أبو عبد الله : هذا مال طيب »[٨٥] • ويمكن أن نستنتج من هذه الرواية أن مدينتى طبنه وبلزمه كانتا تضمان طوائف من أهل الذمة سواء من المسيحيين أو اليهود يدفعون الجزية للدولة بانتظام •

---

(٨٣) نفس المصدر السابق ص١٥ •

(٨٤) البكرى : ص١١٦ ، الجزنائى : زهرة الآس فى ذكر مدينة فاس • نشر الفرد بل ، الجزائر ١٩٢٢ ص١٩ — ٢٠ •

(٨٥) ابن عذارى : البيان المغرب جا ص١٤١ — كذلك انظر : ابراهيم العدوى : المجتمع المغربى ص٢٥٨ •

وعقب رحيل الفاطميين عن المغرب ، واستخلافهم لبنى زيرى بن مناد الصنهاجى ، استخدم الصنهاجيون بعض الغلمان النصارى للعمل لديهم دون حرج • ويروى ابن عذارى أن العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ — ٣٨٦هـ/٩٧٥ — ٩٩٦م) أرسل الى أبى مناد باديس بن أبى الفتوح الصنهاجى الى افريقية يطلب منه أن يرسل اليه القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم ، ولكن القاضى كان مريضا ، وخشى أبو مناد من العزيز بالله الفاطمى ، فبعث العساكر الى دار القاضى « فهجموا عليه وحملوه ببساطه الذى كان مريضا عليه فى ثيابه التى يلبسها فى داره وخرجوا به محمولا وقد اجتمع عند داره خلق عظيم ولم ينطق أحد منهم ، ومشوا به الى رقاده وخلفه غلام نصرانى يمسكه »(٨٦) •

وفى أواخر عهد الدولة الزيرية بافريقية ، تصادفنا شخصية مسيحية لعبت دورا كبيرا فى أحداث الصراع بين النورمانديين أصحاب صقلية والزيريين • تلك هى شخصية « جرجس بن ميخائيل الانطاكى»• وكان هذا الرجل من نصارى انطاكيه بالشام ، فهاجر منها الى افريقيه حيث التحق بخدمة الأمير تميم بن المعز الذى اصطنعه لما وجد عنده من براعة فى اللسان العربى وعلم الحساب ، فأسند اليه أمور الدخل والخراج • وقد حظى جرجس الانطاكى بمكانة عظيمة فى بلاط تميم حتى أن الأمير كان يشاوره فى كل أمور دولته وأصبح أمين سره(٨٧) • ولما توفى تميم عام ٥٠١هـ/١١٠٧م ، خاف جرجس من الأمير يحيى بن تميم ، فاتصل سرا بصاحب صقلية روجر الثانى الذى دبر له سفينة فر على متنها من المهدية خلسة • وقد عمل جرجس فى بلاط روجر الثانى

(٨٦) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص١٦١ •

(٨٧) ابن عذارى : المصدر السابق جـ١ ص٢٤٨ •

سفيرا له ثم مقدما على الاسطول طيلة أربعين عاما • واستغل جرجس معرفته السابقة ببلاد افريقيـــة وأحوال سكانها ، وتمكن من قيـــادة الاسطول النورماندى وشن الغارات على السواحل المغربية ، فاستولى على طرابلس عـــام ٥٤١هـ/١١٤٦م والمهـــدية عـــام ٥٤٣هـ/١١٤٨م وصفاقس • وقد توفى جرجس الانطاكى عام ٥٤٦هـ/١١٥٢م بعد أن عانى المسلمون منه الكثير[٨٨] •

على أية حال ، يلاحظ أن أعداد النصارى فى بلاد المغرب أخذت تتناقص تدريجيا حتى يمكن القول أنهم كادوا يتلاشون تماما فى المغرب مع نهاية القرن الخامس الهجرى ومطلع القـــرن السادس • ولعـــل مراسلات البابوية مع أسقفية قرطاجنة توضح ذلك • وسبق أن أشرنا الى تقلص عدد الاسقفيات والكنائس فى شـــمال افريقيـــا من مائتى اسقفية الى خمس اسقفيات فقط • ولحسن الحظ لدينا نصوص لعدة رسائل وجهتها البابوية لأساقفة شمال افريقيا توضـــح كلهـــا تراجع المسيحية فى هذه المنطقة • ففى وثيقة تنسب للبابا جريجورى السابع (مؤرخة فى ١٦ ديسمبر ١٠٧٣م) نلمح شكوى البابا من عدم طاعة مسيحيى مدينة قرطاجنة للأسقف كيرياك Cyriaque أسقف مدينتهـــم وخضوعهم للمسلمين[٨٩] • وفى رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ يطلب البـــابا من الاسقف أن يصبر على المعـــاملة السيئة التى يلقـــاها من المسيحيين[٩٠] • وفى عام ١٠٧٦م أضطر رئيس أساقفة قرطاجنة الى

---

(٨٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ١ ص٣١٢ — التجانى : الرحـــلة ص٣٣٣ — أنظر كذلك : عزيز أحمد : تاريخ صقلية الاسلاميـــة ص ٦٥ .

(٨٩) De Mas Latrie : Traités, Doc. No. III, P. 5

(٩٠) Ibid : Doc. No IV, P.P. 5-6

ارسال أسقف عنابة الجـديد الى روما لتتولى البـابوية رسامته فى منصبه ، اذ تعذر على أسقف قرطاجنة جمع ثلاث أساقفة من كافة أنحاء المغرب لاقامة موكب الترسيم له وتقليده منصبه الدينى(٩١) • وبالفعل تم ترسيم الاسقف الجديد لعنـابه ويسمى Servand فى روما • وقد أرسل البابا معه رسالة الى كهنة مدينة عنابه وشعبها يطلب منهم أن يطيعوا الاسقف الجديد وأن يؤدوا الصلاة بكل ايمان(٩٢) • وفى نفس العام (١٠٧٦م) أرسل البابا رسالة الى الناصر بن علناس بن حمـاد أمير دولة بنى حماد (٤٥٤ — ٤٨١هـ/١٠٦٢ — ١٠٨٩م) يخبره فيهـا بمرافقته على تعيين الاسقف سيرفان أسقفا لعنابه ويشكره على المعاملة الطيبة التى يلقاها المسيحيون فى دولته(٩٣) • ولعل كل تلك المراسـلات توضح لنا الى أى مدى تضاءلت أعداد المسيحيين فى بلاد المغرب مع نهاية القرن الخامس الهجرى/١١م •

(٩١) Ibid : Doc. No V, P. 6.

(٩٢) Ibid : Doc. No VI P. 7.

(٩٣) Ibid : Doc. No VII P.P. 7-8.

المسيحيون فى المغرب الاسلامى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين :

أشرنا فى الأسطر القليلة السابقة الى تناقص أعداد المسيحيين فى بلاد المغرب بصورة واضحة ، حتى كادت المسيحية المحلية تنقرض من هذه البلاد . ولكن اعتبارا من مطلع القرن السادس الهجرى (١٢م) بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب . وتتمثل هذه الروافد فى أعداد كبيرة من المسيحيين وفدت الى بلاد المغرب للعمل جنودا مرتزقة فى جيوش المرابطين والموحدين(٩٤) . ويعتبر على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ — ٥٣٧هـ/١١٠٦ — ١١٤٣م) من أمراء المرابطين أول من استخدم هؤلاء النصارى أجنادا وحراسا خصوصيين له . ويشير صاحب الحلل الموشية الى ذلك بقوله « وهو (يقصد على ابن يوسف) أول من استعمل الروم وأركبهم فى المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين فى مغامرتهم ويأخذون منهم فى نفقاتهم وأكثر ما يجب عمله »(٩٥) . وقد عهد الأمير على بن يوسف الى هؤلاء النصارى بالاضافة الى عملهم كحرس خاص ، مهمة تحصيل الضرائب أحيانا وحراسة جباة الضرائب أحيانا أخرى ، سيما فى المناطق النائية حيث تضعف السلطة المركزية . ولم يكن من السهل جباية الضرائب فى هذه

---

(٩٤) أوضح ابن خلدون السبب فى استخدام المسيحيين فى الجيوش الاسلامية فذكر ان ذلك يرجع الى ثبات هؤلاء فى القتال وزحفهم فى صفوف متراصة ، فكانوا قاعدة ثابتة يكون السلطان فى وسطها بخلاف الجنود المغاربة الذين يعتمدون على أسلوب الكر والفر . راجع ابن خلدون : المقدمة ص٢٧٤ .

(٩٥) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية . تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ص٨٤ — ٨٥ — ابن عذارى : البيان المغرب ، القسم الخاص بالموحدين ج٤ ص١٠٢ .

المناطق بدون ارسال قوات عسكرية لتحصيلها ، ولذلك استخدم المرابطون هؤلاء النصارى للقيام بهذا العمل(٩٦) . ويذكر ابن الاثير ان الامير اعتمد على جنده النصارى لجباية الخراج من أهل جبل درن .

ولم يكن هؤلاء النصارى من جند المرابطين (أو الروم كما تسميهم غالبية المصادر العربية) أهل ذمة ، فلم تكن تفرض عليهم الجزية باعتبارهم مرتزقة لا يدخلون فى عداد الرعية ، بل كانوا أحرارا فى غالبيتهم ، وهم فى ذلك يختلفون تماما عن نصارى العجم وأعنى بهم طائفة من المعاهدين النصارى من أهل الاندلس أو المستعربين Mozarabes أرغموا على التغرب فى أعقاب الحملة التى قام بها ألفونسو المحارب Alfonso El Batallador ملك أرغون بتحريض من هؤلاء المعاهدين فى أواخر شعبان ٥١٩هـ/أوائل سبتمبر ١١٢٥م ، أخترق فيها بلاد المسلمين مخربا ومدمرا ما قابله من الحصون والقرى والمراكز العمرانية حتى وصل الى قرب غرناطة ، فانضموا اليه(٩٨) . ولما أحس المرابطون بخطر هؤلاء المعاهدين على بلادهم ، سافر الفقيه أبو الوليد ابن رشد الجد قاضى الجماعة بقرطبة الى مراكش لمقابلة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وبين له أمر الاندلس وما بليت به من معاهدتها وما جروه اليها وجنوه عليها من استدعاء لابن ردمير

---

(٩٦) الامير عبد الله الزيرى : كتاب أو مذكرات الامير عبد الله ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥ ص٢١٣ — ٢١٤ .

(٩٧) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص٥٧٣ .

(٩٨) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٩٠ — ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان ج١ ص١١٤ الى ص١٢٠ — وقد أورد ابن الخطيب أخبار هذه الحملة بشىء من التفصيل . أنظر كذلك : عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٧٣٦ ، Aguado Bleye : Manual de historia de Espâna, Madrid, 1947, P. 630.

(ألفونسو المحارب) وما فى ذلك من نقض للعهد والخروج عن الذمة، « فوقع النظر على تغريبهم واجلائهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس باجلاء المعاهدين الى العدوة ، فنفى منهم فى رمضان عدد جم أنكرته الاهواء وأكلتهم الطرق ونسفتهم الأسفار ونزل فيهم الوباء وفرقهم الله شذر مذر وأحل بهم عاقبة مكرهم وأذاقهم وبال أمرهم»[99] • وقد تم تغريب هؤلاء المعاهدين فى ٢٠ رمضان عام ٥٢٠هـ/سبتمبر ١١٢٦م فاستقروا فى مراكش وسلا ومكناسه وغيرها من بلاد العدوة[100] • ويبدو أن أعداد هؤلاء المعاهدين كانت كبيرة ، بدليل أن معاهدة غرناطة الذين كاتبوا ألفونسو المحارب يستدعونه لحرب المرابطين بلغ أثنى عشر ألفا [101] • وقد عمل قسم من هؤلاء المعاهدين فى الزراعة بحكم طبيعة عملهم السابق[102] ، فى حين انضم القسم الآخر لصفوف الجيش المرابطى •

وفى عصر دولة المرابطين برزت عدة شخصيات مسيحية لعت دورا هاما فى أحداث بلاد المغرب فى هذه الفترة ، ولعل أشهر هذه الشخصيات شخصية القائد القطلانى الربرتير Reverter • وكان هذا القائد من أهالى مدينة برشلونة وعمل فى خدمة ملك أرغون ولكنه وقع

(٩٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج٤ ص٧٣ — انظر : محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ص١٢٥ — ١٢٦ ، ص١٦٧ •

(١٠٠) الحلل الموشية ص٩١ •

(١٠١) ابن عذارى : المصدر السابق ج٤ ص٦٩ •

(١٠٢) عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى فى المغرب ص١٠٩ •

أسيرا فى يد أمير البحر المرابطى على بن ميمون ، فحمله الى الامير على بن يوسف بمراكش فولاه قيادة المرتزقة المسيحيين فى جيشه • وقد بلى الريرتير بلاء حسنا فى قتال أعداء المرابطين ، وخاصة الموحدين ، حيث قتل فى معركة ضدهم عند مدينة تلمسان عام ٥٣٩هـ/١١٤٥م(١٠٣) •

وعقب انهيار دولة المرابطين ، انضم المسيحيون العاملون فى جيش المرابطين الى صفوف الموحدين ، بعد أن سهلوا على عبد المؤمن بن على دخول مدينة مراكش عام ٥٤١هـ/١١٤٦م(١٠٤) • ومن ثم ضم عبد المؤمن هؤلاء الى صفوف جيشه ، ولم يجد حرجا فى ذلك على الرغم مما عرف عنه من قسوة وشدة تجاه أهل الذمة • فالمراكشى يفخر بأنه لم تنعقد ذمة ليهودى ولا نصرانى منذ قيام دولة المصامدة (الموحدين) ولا يوجد فى جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة(١٠٥) • ومما يؤثر عن عبد المؤمن بن على قوله لليهود

(١٠٣) عن الريرتير ودوره فى تاريخ المرابطين وصراعه ضد الموحدين راجع : ابن القطان : نظم الجمان فى أخبار الزمان . نشر محمود على مكى ، الرباط ١٩٦٤ ص٩٦ ، البيذق : اخبار المهدى بن تومرت . تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ١٩٧٤ ص٨٦ الى ص٩٦ ، ص١٧٢ — ١٧٣ — ابن عذارى : البيان المغرب جـ٤ ص٩٨ ، ص١٠٣ — حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٥ ص١٠٢ ، مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٥٥ . أيضا انظر : R. Dozy : Recherches sur L'histoire et la Litterature de l'Espagne, Amesterdam, 1965, Tom 2, pp. 437—442.

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص٥٨٤ — مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٢٨ .

(١٠٥) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب : تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ص٣٨٣ .

والنصارى « لا حاجة لنا بجزيتكم فاما الاسلام أو القتل »[١٠٦] • ويذكر ابن القفطى أنه نادى فى أنحاء مملكته « باخراج اليهود والنصارى وقدر لهم مدة معينة ، ومن أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين • ومن بقى على ملته ولم يخرج بعد الاجل فهو فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال ، فخرج المخفون وبقى من ثقل ظهره »[١٠٧] • ومن الجدير بالذكر أن عبد المؤمن بن على أقدم على ترحيل المعاهدين الذين سبق أن غربهم المرابطون من الاندلس الى المغرب • وقد رحل هؤلاء المعاهدون الى طليطلة استنادا الى ما أشارت اليه حولية الملك الفونسو السابع Alfonso VII ملك قشتاله • فقد ورد فى تلك الحولية أن ألوفا كثيرة من النصارى عبرت البحر مع أسقفهم وعدد كبير من رجال الدين من مراكش حاضرة على بن يوسف وولده تاشفين ووصلوا الى طليطلة وذلك عقب استيلاء عبد المؤمن بن على على مراكش عام ١١٤٧م[١٠٨] • أما الضعفاء من هؤلاء النصارى المعاهدين ممن لم يقو على الرحيل فقد أعلنوا اسلامهم واندمجوا فى المجتمع •

وقد استعان الموحدون بعسكر النصارى فى اخماد الثورة التى قام بها محمد بن عبد الله بن هود الماسى[١٠٩] (نسبة الى رباط ماسه على

(١٠٦) هوبكنز : النظم الاسلامية : ص٢٢ — روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية جا ص٣٣ •

(١٠٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص •

(١٠٨) Pierre de Cenival : L'Eglise Chrétienne de Marrakech au XIIIe Siécle, Revue Hespéris, Tome VII, Année; 1927, 1er Trimestre, P. 72.

(١٠٩) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٦ •

ساحل المحيط الاطلسى) فى عهد عبد المؤمن بن على . وفى عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب (٥٥٨ — ٥٨٠هـ/١١٦٣ — ١١٨٤م) أنضم الفارس البرتغالى جيرالدو سمبافور Giraldo Sampavor ، والذى عرف فى المصادر العربية باسم جرانده الجليقى ، انضم مع جماعته من الفرسان المسيحيين لخدمة الموحدين بعد أن استسلم لهم عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م . ورأى الخليفة أبو يعقوب يوسف أنه من الضرورى نقل هذا الفارس وجماعته من الاندلس الى المغرب . ويشير البيذق الى أن الخليفة الموحدى أجاز الفارس جرانده الى مركش ، ثم صرفه هو وجماعته الى السوس الأقصى حيث عينه قائدا للنصارى المرتزقة العاملين فى الجيش الموحدى فى هذه المنطقة . ولكن جرانده الجليقى راسل ألفونسو انريكث Alfonso Enriquez ملك البرتغال (وتطلق عليه المصادر العربية ابن الرنك) وقال له : « لعلك تعمر القطائع(١١٠) لتأخذنى وأجد معكم » . ولكن هذه الرسالة وقت فى أيدى الموحدين فاستدعاه الخليفة أبو يعقوب من السوس الى مراكش فى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م . وقرر الانتقام منه هو وأصحابه ، فكتب الى موسى بن عبد الصمد عامله على درعه وقال له « اذا وجهنا لكم جرانده وأصحابه ، فقسموهم على القبائل واقتلوه لأنا أخذنا عليه كتب الدلس » . وفى نفس الوقت طلب الخليفة الموحدى من جرانده المسير الى درعة بحجة أنها أحسن له من السوس « فسار مع أصحابه وكان عددهم ثلاثمائة وخمسين من آيفرخان(١١١) ، فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره أمير المؤمنين»(١١٢) .

---

(١١٠) المقصود بالقطائع هنا السفن أو الاسطول . راجع :
R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth, Vol. 2. P. 380.

(١١١) آيفرخان : كلمة بربرية بلغة تاشلحيت ومفردها آفروخ بمعنى شاب . وتستعمل هنا بمعنى مرتزقة النصارى ولاشك ان هذه الكلمة هى اصل كلمة Far Fanes التى اطلقت فى اسبانيا بعد =

وواضح من هذا النص أن الفرقة المسيحية التى كانت مصاحبة لجرانده قد توزعت على القبائل فى درعه ، فى حين لقى جرانده مصرعه •

أما الخليفة أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور (٥٨٠ — ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ — ١١٩٩م) فقد اتخذ من الرماة النصارى حرسا له ، وأسكنهم فى أحد القصور التى شيدها ، ويذكر ليون الأفريقى أن هؤلاء الرماة كانوا يسيرون أمام الخليفة أينما تنقل من مكان لآخر(١١٣) •

ولكن نلاحظ أن تأثير هؤلاء المسيحيين الذين نصادفهم سواء فى عصر المرابطين أو الموحدين وحتى بداية عصر المأمون الموحدى ، كان محدودا ، ولم يتعد دورهم أكثر مما رسمه الحكام المسلمون لهم • فقد عملوا كحرس خاص لهؤلاء الحكام أو كجباة للضرائب ، كما عمل بعضهم — وخاصة معاهدو الاندلس الذين غربوا أيام المرابطين — فى الزراعة • ولم يكن لهم أية حقوق دينية مثل حقهم فى ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية ، أو وجود كنائس خاصة بهم أو حتى أساقفة لهم• ولكن من ناحية أخرى لم يكن هؤلاء النصارى — وخاصة المرتزقة منهم — أهل ذمة يؤدون الجزية ، وذلك بحكم كون غالبيتهم أحرارا مرتزقة يعملون لدى المرابطين أو الموحدين لقاء أجر معين • أما أهل الذمة منهم فهم أولئك المعاهدون الذين كانوا يشتغلون بالزراعة •

= ذلك على أعقاب هؤلاء النصارى الذين أعيدوا الى أوطانهم • أنظر :

Levi-Provençal : Documents inedits : D'histoire Almohade, Paris, 1928, P.83 Pierre de Cenival : Op. Cit. P. 76.

(١١٢) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ص١٦٧ — ١٦٨ •

(١١٣) ليون الافريقى : وصف افريقيا ص١٤٤ •

وحتى هؤلاء لم يستمر وجودهم فى بلاد المغـــرب طويلا ، حيث رحلوا الى الاندلس فى بداية عهد الموحدين • ولكن منذ عصر المأمون الموحدى (٦٢٤ — ٦٣٠هـ/١٢٢٧ — ١٢٣٢م) أخذت هذه الطوائف المسيحية تبرز بصورة واضحة فى بلاد المغرب على مسرح الاحداث • فمن المعروف انه بويع للخليفة المأمون بالخـــلافة فى اشبيلية بالأندلس عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م ، فى حين بويع ليحيى بن الناصر بالخلافة فى مراكش • ومن ثم دب النزاع بينهما للظفر بالعرش الموحدى • ولما تبين للمأمون تعذر تغلبه على خصمه نظـــرا قلة عدد أتبـــاعه لجأ الى فرناندو الثـــالث Fernando III ملك قشتاله يلتمس منه المساعدة بفـــرقة من الجنـــد النصـــارى يتقـــوى بهـــا • وبالفعل أمده فرناندو بجيش بلغت عدته اثنى عشر ألف فارس برسم الخدمة معه والجواز الى العدوة[١١٤] • وفى مقابل ذلك تعهد المأمون الموحدى بالسماح لهؤلاء الجند النصارى ببناء كنيسة لهم وسط مدينة مراكش « يظهرون بها دينهم ويضربون فيهـــا نواقيسهم أوقات صلواتهم ، وان أسلم أحد من الروم لا يقبل اسلامه ويرد الى أخوانه فيحكمـــون فيه بحكمهم ، ومن تنصر من المســـلمين فليس لأحد عليه من سبيل »[١١٥] •

وقد انتقد كثير من مؤرخى المغرب القدامى منهم والمحدثين هذا التصرف الشائن من جانب المأمون ، فصاحب كتـــاب « ذكر مشاهير أعيان فاس » ندد بالموحدين لسماحهم للنصـــارى بممارسة حريتهـــم الدينية فى مراكش مع أسقافتهم[١١٦] • ويبالغ المؤرخ التونسى محمد

---

(١١٤) ابن أبى زرع : الانيس المطـــرب : ص١٦٧ — فى حين ان ابن عذارى يذكر أن عدد هؤلاء الفرسان بلغ خمسمائة فارس فقط . البيان المغرب جـ٤ ص٢٨٤ وهذا العدد الاخير هو الارجح .

(١١٥) ابن أبى زرع : نفس المصدر والصفحة .

(١١٦) مؤلف مجهول : ذكر مشاهير أعيان فاس . تحقيق عبد القـــادر زمامه ، مجلة البحث العلمى بالرباط ، العدد ٣ ص٥٣ .

العروسى المطوى فى الحكم على الخطوة التى أقدم عليهـا المأمون ، وذهب بخياله بعيدا حيث ذكر أن ما فعله المأمون انما كان مدفوعا فيه برغبته فى التنصر والارتداد عن الاسلام ، وفسر بعض التصرفات التى أقدم عليها المأمون تفسيرا خاطئا • فقد أمر المأمون باسقاط اسم المهدى ابن تومرت من الخطبة وأنكر عصمته وقال لأتباعه « لا مهدى الا عيسى عليه السلام »(١١٧) • ويرى الاستاذ المطوى أنه كان متأثرا فى ذلك بنزعة مسيحية لأنه ارتقى عرش الموحدين على أسنة رماح النصارى ، ثم أن أم المأمون أم ولد رومية نصرانية • وبالاضافة الى ذلك فقد التجأ بعض أحفاد عبد المؤمن بن على الى مملكة قشتاله وتنصروا ، وتنصر البعض الآخر منذ عهد بعيد ولم يعلن تنصره الا حينما تسنح الفرصة(١١٨) •

ولكننا لا نتفق مع الاستاذ المطوى فيما ذهب اليه لأن استعانة المأمون بالنصارى لمساعدته ضد منافسه على العرش ليست بدعة أو سنة جديدة استنها المأمون ، فقـد سبق أن اسـتعان أمراء المسلمين المرابطون ومن بعدهم خلفاء الموحدين بالنصارى للعمل فى جيوشهم أو كحرس خاص بهم • أما بناء كنيسة للنصارى فى قلب احدى العواصم الاسلامية — برغم أن الفقيه ابن رشد الجد لم يجز ذلك — فأمر لم ينفرد به المأمون • وقد سبق أن أشرنا الى أنه كان بتاهرت موضـع يسمى الكنيسة فى سياق حديثنا عن دولة الرستميين فى تاهرت ، كما وجد المسيحيون فى تلك المدينـة • كما أن المرينيين بعـد ذلك سمحوا للنصارى العاملين فى جيوشهم ببناء كنيسة لهـم فى «فاس الجديد» لممارسة شعائرهم الدينيـة • أما القول بأن المأمون كان متأثرا بنزعة

---

(١١٧) ابن أبى زرع : المصدر السابق ص١٦٧ •

(١١٨) محمد العروسى المطـوى : السلطنة الحفصية ، منشورات دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٦م ص١٢٤ — ١٢٥ •

مسيحية وأنه كان يرغب في التنصر فقول بعيد تماما عن الصحة[119]. لأن هذا الاتهام سبق أن اتهم به غير واحد من حكام المغــرب الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح بعض الملوك المسيحيين ، فقد اتهم المستنصر بالله الحفصي (٦٤٧ — ٦٧٥هـ/١٢٤٩ — ١٢٧٧م) هو الآخر بأنه كان يرغب في اعتناق المسيحية ، حتى أن مؤرخا مشرقيا مثل المقريزي ذكر أن المستنصر الحفصي لا يجــوز أن يلي أمــور المســلمين لمــالأته للمسيحيين[120] . والواقع أن ما قام به المأمون الموحدي لا دخل له بالنصرانية أو أنه يشير الى ميله الى اعتناق المسيحية ــ كمــا توهم المطوي ــ بل هي مجرد وسيلة توصله الى الظفر بالخلافة والقضــاء على منافسه ، والا جاز لنا القول ــ اذا سلمنا بوجهة نظر المطــوي ـــ أن ألفونسو العاشر ملك قشتاله الملقب بالعالم El Sabio كانت لديه نزعة اســلامية حيث اســتعان بالمسلمين حينما ثار عليه ابنه المسمى سانشو وخلعه من العرش[121] . بل وما فعله ملوك قشتالة قبل ذلك مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عنــدما استنصروا به لاستعادة عروشهم .

---

(١١٩) راجع : Pierre de Ceniva! : Op. Cit. P. 75. وقد ذكر دي سينفال أن ما قام به المأمون لا يعني أنه كان يفكر في اعتناق المسيحية .

(١٢٠) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٦ جا ص٦٠١ ، أنظر كذلك : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ج٢ ص١١٧٧ .

(١٢١) عن أحداث هذه الثورة وطلب الفونسو العاشر مساعدة ابي يوسف يعقوب المريني له ضد ابنه . راجع : ابن الخطيب : أعمــال الاعلام ، القسم الثاني ، نشر ليفي بروفنســال ، بيروت ١٩٥٦ ص٣٣٣ ، ابن خلدون : العبر ج٧ ص٢٠٥ .
Aguado Bleye : Op. Cit. P. 694.

على أية حال ، فان ما قام به المأمون الموحدى انما كان يستهدف منه التخلص من التقاليد القديمة التى وضعها المهدى بن تومرت ، ومن سيطرة أشياخ الموحدين • وقد أدى هذا العمل الى اثارة البعض عليه، فاستغلوا استعانته بالنصارى للطعن فيه ، خاصة وأن هؤلاء النصارى قد أثاروا فزع المسلمين ومسوا مشاعرهم الدينية(١٢٢) • ولذلك انتهز يحيى بن الناصر فرصة انشغال عمه الخليفة المأمون بحصار مدينة سبته عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م ، وأقدم على مهاجمة مراكش واقتحمها عنوة ، وتقربا منه لأهل المدينة ، قام بحرق كنيسة نوتردام التى خصصها المأمون لجنده النصارى ، كما أمر بقتل عدد كبير من النصارى كانوا قد لاذو ابالكنيسة(١٢٣) • ويزودنا دى سينفال ببعض التفصيلات عن هذه الحادثة — نقلا عن أحد المخطوطات الخاصة بتاريخ الفرنسيسكان -- فيذكر ان كثيرا من المسحيين بمراكش التجأوا الى كنيسة نوتردم ، فقام المسلمون من أهل المدينة بمحاصرة الكنيسة وحرقها بمن فيها ، حتى أبيد كل المسيحيين داخلها ، كما قتل رجال الدين المسيحى وعددهم خمسة أفراد ، وقد اعتبر هؤلاء الخمسة فى عداد الشهداء(١٢٤) •

وكان رد فعل المأمون وجنوده النصارى الذين كانوا معه أمام سبتة عنيفا ، فقد ذكر ابن عذارى أن النصارى أصيبوا بالارتباك وخافوا على أنفسهم ، فى حين استشاط المأمون غضبا وقرر الانتقام من أهل مراكش ، وأقسم أن يطلق جنوده المسيحين على البلد حتى ينتصفوا(١٢٥) • ولكن القدر لم يمهله لكى يبر بقسمه ، اذ توفى بوادى العبيد عقب قفوله من سبتة فى ذى الحجة عام ٦٢٩هـ/أكتوبر ١٢٣٢م•

(١٢٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ص٢٩٨ •

(١٢٣) نفس المصدر والصفحة — ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص١٩٦ •

(١٢٤) Pierre decenival : Op. Cit. P. 76-79.

(١٢٥) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٤ ص٢٩٨ •

وحينما بلغ أهل مراكش ما عزم عليــه النصارى من الرغبــة فى الانتقام ، بادروا بالاستعداد لقتالهم • ولكن الخليفة الموحدى الرشيد ابن المأمون أرسل اليهم الفقيه القاضى أبا محمد عبد الحق وبعث معــه ظهيرا لأهل مراكش يؤمنهم ويعفو عن عامتهم ويعــدهم بألا يتعرض النصارى لهم بسوء(١٢٦) • ويذكر السلاوى أن الرشيد اضطر الى دفع مبلغ قدره خمسة آلاف دينار لقائد الجند النصرانى المسمى فرنسيل حتى لا يتعرض لأهل مراكش بسوء(١٢٧) •

ومما لاشك فيه أن نفوذ النصارى فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ دولة الموحدين ازداد بشكل واضح وأصبح خلفــاء الموحدين يعتمدون عليهم كثيرا • وليس أدل على ذلك مما يرويه ابن عذارى من أن الخليفة الموحدى الرشيد عندما أراد التخلص من مسعود بن حميد زعيم العرب الخلط الذى لم يكن راضيا عن بيعة الرشيد ، لم يجــد سوى النصارى يستعين بهم ، فقد وجه أحد فتيانه ويسمى عنبر الى كنيسة النصارى يستصرخ من بها من النصارى من تجارهم وضعفائهم، ويصف ابن عذارى هذه الحادثة نقلا عن أحد شــهودها وهو الفقيه أبى عبد الله التلمسانى فيقول « فاقيت بسوق البرذعيين الفتى المذكور وهو على فرس خالى الركاب أشهب اللون من خيل الخليفة وليس على الفتى رداء ولا فى قدميه الا جلدها • وكان المطر فى ذلك اليوم وفيما قبلهمن الايام متواليا لا يفتر والأزقة والسكك قد غصت بالنــاس ، وهو قد أطلق عنان فرسه ووراءه نحو ثلاثين من فرسان النصــارى وتجارهم وهو يستحثهم والطين قد عــلاه حتى لا يتبــين لون فرسه

(١٢٦) ابن عذارى : نفس المصدر السابق ج٤ ص٣٠١ •

(١٢٧) السلاوى : الاستقصا : ج٢ ص٢٤٢ •

ولا لون ثيابه »(١٢٨) • ولم يكد النصارى يصلون الى موضع العرب حتى هاجمهم الرشيد وفتك بهم •

كذلك شارك الجند النصارى فى الدفاع عن مراكش حينما حاصرها عرب الخلط للثأر لمقتل زعيمهم • فقد خرج قائد الجند النصرانى المسمى غنصاله (أو جونزاليس Gonza'es) من مراكش ومعه جنوده، والتقى مع العرب عند وادى تانسيفت سنة ٦٣٢ھ (١٢٣٥م) لكنهم هزموا هزيمة شنعاء ، وحينما أرادوا العودة مسرعين الى مراكش ، وعبروا على قنطرة الوادى فاجأهم العرب وقتلوا منهم عددا كبيرا ، ولم ينج منهم الا عدد قليل(١٢٩) •

وعندما حاصر الرشيد الموحدى مدينة سجلماسه فى نهاية عام ٦٣٢ھ للقضاء على ثورة واليها أرقم بن يحيى بن شجاع بن مردنيش ، كان الجنود النصارى من بين العناصر التى اشتركت فى هذا الحصار• وحدث أن تعرض جيش الموحدين لنقص شديد فى الميرة والاقوات حتى أشرف على الهلاك جوعا ، وعندئذ أقدم عسكر ابن مردنيش على فتح أبواب سجلماسة ، ولم يترددوا فى بذل طاعتهم للرشيد تضامنا مع أخوانهم النصارى فى جيش الخليفة ، وبذلك استولى الرشيد على المدينة(١٣٠) •

وفى عهد السعيد بن المأمون الموحدى (٦٤٠ — ٦٤٦ھ/١٢٤٢ — ١٢٤٨م) استمر النصارى ينعمون بمركزهم الممتاز فى الدولة نظرا لشدة الحاجة اليهم • وقد كثرت أعدادهم بصورة ملحوظة فى مراكش فى

---

(١٢٨) ابن عذارى : المصدر السابق ج٤ ص٣١٩ — ٣٢٠ •

(١٢٩) نفس المصدر السابق ج٤ ص ٣١٥ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص ٢٥٥ — السلاوى : الاستقصا ج٢ ص٢٤٣ •

(١٣٠) نفس المصدر ج٤ ص٣٢٥ •

خلافة السعيد ، الذى سمح لهم بدق أجراس كنيستهم بصورة علنية[131] . وعليهم اعتمد السعيد فى القضاء على ثورة أهل سجلماسه[132] .

بيد أن النصارى برغم تلك المكانة التى تمتعوا بها ، والحماية التى أسبغها خلفاء الموحدين عليهم ، لم يسلموا من التعرض للاغتيالات والمؤامرات وخاصة فى عهد المرتضى الموحدى . فقد كان هذا الخليفة يشك كثيرا فى اخلاصهم له . ولذلك دبر مؤامرة لاغتيال قائد الجند النصرانى فى جيشه ويسمى ذى اللب Del Lobo لتخاذله فى قتال أحد الثوار ويدعى على بن يدر . وقد أرسل المرتضى الى ذى اللب يأمره بالعودة من السوس الى مراكش . وفى نفس الوقت كتب الى الشيخ أبى زيد بن زكريا الجدميوى يأمره بقتل القائد النصرانى عند مروره عليه . وزيادة فى التمويه على القائد النصرانى ، أعطاه المرتضى كتابا لأبى زيد يوصيه فيه بالجند النصارى وبقائدهم وأن يعمل على اكرامهم . وقد استقبل الشيخ أبو زيد هؤلاء الجند النصارى استقبالا حافلا وأنزل القائد ذى اللب فى منزل خاص به ، وسمح له باصطحاب ستة من الجند النصرانى برسم خدمته . أما باقى الجند فقد أقاموا معسكرهم خارج المدينة . ثم وثب عسكر أبى زيد على ذى اللب وجنوده الستة فغدروا بهم وفى اليوم التالى دخل الترجمان الحكيم ترجمان الفرقة النصرانية على أبى زيد فأخبره أن القائد قد فر من داره « فعاد الترجمان الى جماعته النصارى الكفار فأعلمهم بهروب قائدهم من الدار ، فدخل بعضهم فى السلاح وقام بالعويل والصياح ، وأيقنوا أن قائدهم قد مات ... فلما دخلوا مراكش علموا أن الامر فى قائدهم قد انقضى »[133] .

---

(131) المصدر السابق جـ4 ص 360 .

(132) ابن عذارى : المصدر السابق جـ4 ص429 — 430 .

(133) ابن خلدون : العبر جـ6 ص257 .

كذلك قام المرتضى بالقبض على غرسياطاليس قائد الجند النصارى بمراكش Garcia Tales لأنه خشى أن يفر الى أعدائه • ولكنه أضطر الى اطلاق سراحه عندما حاصر الأمــير أبو دبوس الموحدى مدينــه مراكش مطالبا بعرش الموحدين • وزوده بفرس ودرقة كى يشترك فى الدفاع عن المدينة • بيد أن القائد النصرانى غافل المرتضى وفر الى باب الطبول (أحد أبواب مدينة مراكش) حيث اجتمع مع وجوه الدولة وقرروا جميعــا الدخول فى طاعــة أبى دبوس وذلك عــام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م(١٣٤) • وعلى الرغم من عدم ثقة المرتضى فى هؤلاء المسيحيين الا أنه أرسل الى الاندلس عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م يطلب أعدادا كبــيرة منهم ليركبهم معه ويكونوا أعوانا فوصلوا اليه فى هذه السنة(١٣٥) •

---

(١٣٤) نفس المصدر السابق جـ٤ ص٤٣٦ — ابن خلــدون : العبر جـ٦ ص٢٦١ •

(١٣٥) ابن عذارى : نفس المصدر السابق جـ٤ ص٣٩٩ •

المسيحيون فى المغرب الأدنى فى ظل الدولة الحفصية :

الحفصيون فرع من الموحدين ، ينتسبون الى أبى حفص يحيى ابن عمر الهنتاتى شيخ قبيلة هنتاته احدى بطون مصموده . والشيخ أبو حفص كان من كبار رجال المهدى بن تومرت . وترجع صلة الحفصيين بتونس الى أيام الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص صهر الخليفة المنصور الموحدى ، حيث ولى افريقية فى خلافة الناصر الموحدى عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م . ولما انهارت دولة الموحدين ورث الحفصيون الموحدين فى حكم افريقية . أما بالنسبة للمسيحيين ومكانتهم فى الدولة الحفصية ، فمن المعروف أن سكان البلاد الحفصية كانوا فى غالبيتهم الساحقة من المسلمين . ولكن هذا لا يمنع من وجود أقلية من النصارى واليهود . ولم يكن للنصارى فى العهد الحفصى أية علاقة لا من حيث أصلهم ولا من حيث طبيعتهم ولا من حيث وضعيتهم مع العناصر المحلية القديمة التى انقرضت باستثناء أقلية ضئيلة من بقايا قبيلة نفزاوه ظلت مقيمة فى نواحى توزر وقسنطينة[١٣٦] ، وانما كانوا طارئين تابعين لدول أجنبية[١٣٧] . ويمكن أن نصنف هؤلاء على الوجه التالى : التجار — رجال الدين — الجند المرتزقة — العبيد .

أما بالنسبة للتجار ورجال الدين ، فقد كانوا لا يخضعون لسيطرة الدولة الحفصية ، اذ كانت المعاهدات المبرمة بين دولهم والحفصيين تنظم فى الواقع وضعيتهم[١٣٨] . فقد أعطى الحفصيون التجار المسيحيين

---

(١٣٦) راجع ما سبق أن ذكرناه ص من هذا البحث .

(١٣٧) برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ج١ ص٤٦١ — ٤٦٢ .

(١٣٨) راجع على سبيل المثال المعاهدة التى وقعت بين المستنصر بالله الحفصى وجمهورية البندقية فى صفر عام ٦٤٩هـ/أبريل ١٢٥١م والتى نصت فى أحد بنودها على حق التجار المسيحيين البنادقة فى =

الحق فى اقامة فنادق خاصة بهم ،كما سمحوا لهم ببناء كنائس صغيرة داخل تلك الفنادق يمارسون فيها شعائرهم الدينية بحرية تامة ، كما خصصت لهـم أراض اتخذت كمقابر لدفن موتاهم حسب طقوسـهم الدينية • وقد انتشرت هذه الكنائس الصغيرة فى المدن الساحلية مثل تونس وبجاية وعنابه • كذلك اعترف سلاطين بنى حفص بحق المسيحيين فى الاحتفال بأعيادهم الدينية بكل حرية[١٣٩] • ومن الأدلة على تسامح الحفصيين تجـاه هؤلاء المسيحيين سماحهـم للنصارى بدق أجراس كنائسهم على نحو لا يؤذى مشاعر المسلمين • ولدينا رواية طريفة يرويها

= اقامة فندق لهم وبداخله كنيسة لاقامةشعائرهم الدينية Mas Latrie : Op. Cit. P.P. 199-202. وكذلك معاهدة الصلح التى عقدت بين المستنصر الحفصى والملوك الصليبيين : شارل دانجو ملك صقلية وفليب الثانى ملك فرنسا وتيباط ملك نافار عقب حمـلة لويس التاسع الفاشلة على تونس ، حيث نصت فى احد بنـودها على ما يلى : « يكون رهبان النصارى أو قسوسهم سكانا فى بلاد أمير المؤمنين ، وهو يعطيهم موضعا يعمرون فيه دياره وبيوت الصلاة ومواضع لدفن موتاهم . والرهبان القسوس المذكورين يعظـون ويصلون مجهرا فى كنائسهم » Mas Latrie: Op. Cit. P.P. 93-96 وقد نشر الدكتور مصطفى الكنانى النص العربى لهذه المعـاهدة فى كتابه « حملة لويس التاسع الصليبية على تونس » الاسكندرية ١٩٨٥ ص٢٨٧ وما بعدها . كذلك المعاهدة الموقعة بين بدرو الثالث ملك اراجون والسلطان الحفصى ابى حفص عمـر بن يحيى عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م وكان من ضمن بنودها حق النصارى فى ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية ، وأن يسمح لهـم بقـرع أجراس كنائسهم Mas Latrie: Op. Cit. P. 286 وراجع فى هذا الموضوع ايضـا : سعيد عبد الفتاح عاشـور : الحـركة الصليبية ج٢ ص١١٨٠ — ١١٨٤ .

(١٣٩) Charles, E. Dufourcq : L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIIIe Siècles, Paris, 1966. P. 104.

الونشريسى فى كتابه المسمى «المعيار» توضح مدى تسامح الحفصيين مع هؤلاء المسيحيين . فقد حدث أن جدد بعض النصارى كنيسة فى فندقهم وعلا عليها بناء يشبه الصومعة فاعتقد المسلمون أن النصارى سيضعون ناقوسا فى هذا البناء، وطلبوا من قاضى تونس التدخل لوقف أعمال البناء ، ولكن النصارى أتوا بكتاب العهد فوجد فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا للعبادة ، وبرروا بناءهم لهذا البرج المماثل للصومعة بأنه مخصص لادخال الضوء ، فبعث القاضى من عاين هذا البناء فوجد أنه مخصص فعلا لادخال الضوء كما ذكروا فتركه[١٤٠] . وهناك حادثة أخرى يرويها محمد بن أحمد العقبانى (من أهل القرن الثامن الهجرى/١٤م) توضح مدى حساسية المسلمين تجاه النصارى ، فقد حدث أن بنى النصارى فى تونس متنزها ارتفعت بعض أجزائه على المدرسة التوفيقية ، فتكلم أبو القاسم البرزلى مع ابن عرفه فى الموضوع فتغافل عنه ولم يجبه اشعارا بعدم خطورة الامر[١٤١] .

وعلى الرغم من هذا التسامح فانه لم يسمح للنصارى ببعض الاعمال مثل ركوب الخيـل فى المدن الساحلية أو التشبه بالمسلمين فى زيهم وهيئتهم .

(١٤٠) الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيـة والاندلس والمغرب . طبعـة فاس ١٣١٤ — ١٣١٥ هـ جـ ٢ ص ١٧٢ .

(١٤١) لقبال موسى : الحسبة المذهبية ص٥٦ .

التبشير فى افريقية فى العهد الحفصى :

مارس رجال الدين المسيحى نشاطهم فى أراضى الدولة الحفصية بكل حرية ، وقد اختلفت نوعيات رجال الدين المسيحى وأهدافهم من وقت لآخر • ففى بداية عهـد الدولة وفد الى افريقيـة مجموعة من القساوسه ورجال الدين لاقامة الشعائر الدينية للتجار والجند النصارى العاملين فى صفوف الجيش الحفصى • وكان هؤلاء القساوسة يمارسون عملهم داخل الفنادق التى قلنا انها كانت تضم كنائس صغيرة • وكان لكل جنسية قسيسها الخاص ، بمعنى أنه لم تكن هناك كنيسة كبرى أو أسقفية تهيمن على عملية اقامة الشعائر الدينية لمختلف الطـوائف المسيحية بافريقية • وقد حاولت البابوية جمـع شمل هذه الكنـائس الصغيرة المتفرقة ، وجعلها تتبع كنيسة توتردام بمراكش ولكـن دون جدوى[١٤٢] • كذلك وصلت الى افريقية طائفة من الرهبان المسيحيين ينتمون الى بعـض الجماعات الدينيـة الشهيرة مثـل الفرنسيسان والدومنيكان • وقد وصلت هذه الطائفة الى تونس وغـيرها من المدن الساحلية بغرض افتـداء أسرى المسيحيين من أيدى المسلمين ، وقد نجحت هذه الطائفة فى اطلاق سراح أعداد كبـيرة من هؤلاء الأسرى خاصة فى عهـد السلطان الحفصى أبى زكريا والسلطان المستنصر • وعلى الرغم من أن هؤلاء الرهبان كانوا يعملون فى افريقية بموافقـة السلطات الحفصية ، الا أن كثيرا منهم تعرض للقتل بسبب سلوكهم الذى كان يؤذى مشاعر المسلمين • فكثيرا ما تجاوز هؤلاء الرهبـان نطاق مهامهـم وأقدموا على التبشير بالديانة المسيحية فى الأوسـاط الاسلامية مما أثار موجة عارمة من الاستياء بين المسلمين كان لهـا آثار سيئة على هؤلاء الرهبان ، ويذكر مسناج Mesnage فى كتـابه « كنائس المستعربين » أن أول من قتل من الرهبـان فى تونس راهب

(١٤٢) Charles Dufourcq : Op. Cit. P.P. 105-106.

يدعى الأب ريشار عام ١٢١٩م بسبب حماسته الزائدة لنشر الديانة المسيحية فى تونس(١٤٣) .

وهكذا تطور عمل هذه الفرق الدينية المسحية من مجرد افتداء أسرى المسيحيين الى التبشير بالمسيحية فى أوساط المسلمين . والغريب فى ذلك أن يقدم رجال الدين المسيحى على مجرد محاولة التبشير فى بلاد رسخ فيها الاسلام بين سكان حسن اسلامهم ، فقد عرف أهل المغرب بايمانهم الشديد بدينهم الاسلامى ، وغيرتهم عليه ، بالاضافة الى تأصل فكرة الجهاد فى نفوسهم . وكثيرا ما تدخل أبناء المغرب الاسلامى لانقاذ الاسلام والمسلمين فى الاندلس من ضربات المسيحيين . ومن المعروف أنه لولا تدخل المغاربة لوقف تيار الاسترداد المسيحى فى أسبانيا ، لما قدر للاسلام أن يستمر فى هذه البلاد حتى نهاية القرن التاسع الهجرى/١٥م . ولكن يبدو أنه عندما أخفق القائمون على شئون المسيحية فى الغرب الأروبى فى الاستيلاء على بلاد المشرق بالقوة ، فكروا فى التحول الى أسلوب آخر لكسب المعركة بين الاسلام والمسيحية ، ويتمثل هذا الاسلوب فى تحويل المسلمين الى مسيحيين . ولهذا الغرض تقرر وضع خطة لدراسة اللغة العربية والدين الاسلامى بين القسس والرهبان الذين تتولى الكنيسة أو الجماعات الرهبانية ارسالهم الى شمال افريقيا . وقد نشأت أول مدرسة لندراسات العربية والاسلامية بتونس باسم Studium Arabicum عام٦٤٨هـ/١٢٥٠م نتيجة للضغط الذى مارسه خايمى الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح Jaime I Elconquistador على الخليفة الحفصى

(١٤٣) برنشفيك : المرجع السابق جا ص٤٨٤ — ٤٨٥ — جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية : ج٢ ص١٩١ .

المستنصر[١٤٤] . ولقد واجه الحفصيون هذه التحركات المسيحية بكل شدة وحزم . ومن المثير للدهشة أن هؤلاء الرهبان لم يكفوا عن القيام بأعمال التبشير على الرغم من العنف الذى تعرضوا له من قبل السلطات الحفصية . ويعلل روبرت برنشفيك هذا المسلك من قبل الرهبان بالقول بأن هؤلاء لم يكونوا يريدون الاستشهاد فقط ، بل كانوا يريدون أن يضربوا المثل للمسلمين فى التضحية بالنفس فى سبيل المسيحية ، اعتقادا منهم أن ذلك العمل من شأنه أن يعجل بتنصير المسلمين الذين يصعب اقناعهم بالقول[١٤٥] .

وعلى الرغم من عدم جدوى التبشير بالمسيحية بين سكان افريقية المسلمين ، حيث لم تشر المصادر العربية أو الاجنبية على السواء الى حالات ارتد فيها المسلمون عن دينهم الى المسيحية[١٤٦] . الا أننا نصادف ظاهرة غريبة انتشرت فى أوربا فى القرن الثالث عشر

(١٤٤) Ch. Dufourcq : Op. Cit. P. 109. وقد تولى الاب ريموند مارتين Roymond Martin والأب ساندرا Sandra وهما من الآباء الدومنيكان رئاسة هذه المدرسة بتونس .

(١٤٥) برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص٤٨٨ — أنظر كذلك : Dufourcq : Op. Cit. P. 107.

(١٤٦) فى الواقع تصادف فى بعض المصادر العربية الاشارة الى حالة واحدة فى العصر الحفصى اتهم صاحبها بالتنصر ، حيث أشار ابن القنفذ القسنطينى أن والى قسنطينة المسمى ابن الوزير ثار ضد السلطان الحفصى أبى اسحاق بن أبى زكريا عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م ، وكتب الى ملك ارغون بدرو الثالث يستدعيه لمناصرته ضد السلطان الحفصى . وقد كتب أهل قسنطينة الى السلطان أبى اسحاق عهدا مشهود بشهودها أن ابن الوزير ارتد وأكل الخنزير ونه أظهر مايدل على نفاقه . راجع : ابن القنفذ القسنطينى : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية . تحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ، تونس ١٩٦٨ . ص١٣٩ .

الميلادى/٧ﻫ • وتتمثل فى تلك الموجة من التفاؤل التى انتابت الاوساط المسيحية هناك بامكانية تنصير مسلمى المغرب وحكامهم • وقد أدعت كتب الرهبان والمبشرين المسيحيين انعاملين بتونس أنه تم تحويل عدد كبير من مسلمى هذه البلاد الى المسيحية • ولكن هذه الكتابات — باعتراف الباحثين الأروبيين أنفسهم — يغلب عليها عنصر الوهم والخيال • ولعل أشهر الشخصيات التى أدعى الرهبان الدومنيكان أنها ترغب فى التنصر شخصية الخليفة الحفصى المستنصر بالله ، حتى أن البعض يرى أن حملة لويس التاسع على تونس انما كان الغرض الاساسى منها هو حماية المستنصر من بطش المسلمين الذين سيفتكون بخليفتهم اذا اعتنق المسيحية • وقد فند الكتاب الأروبيون — قبل المسلمين — هذه المزاعم ، وأوضحوا أن هذه الاشاعة أطلقها الراهب الدومنيكانى ريموند مارتن الذى أوحى الى الملك لويس التاسع بذلك مستغلا صداقته للخليفة الحفصى • ولكن يبدو أن سياسة السلطان الحفصى تجاه المسيحيين وتسامحه معهم هى التى أوحت لهذا المبشر بهذا الزعم(١٤٧) •

ومن أشهر المبشرين الذين عملوا فى افريقية فى العهد الحفصى الراهب الدومنيكانى رامون لل Ramon Lull وهو مبشر أسبانى من جزيرة ميورقة • كان يعتقد أنه بالامكان التبشير بالمسيحية بين المسلمين فى المغرب ، ولذلك حرص على تعلم اللغة العربية حتى أتقنها ثم درس الفقه الاسلامى • وقد رحل لل الى افريقية أول مرة عام ٦٩٢ﻫ/١٢٩٢م على عهد السلطان الحفصى أبى حفص عمر (٦٨٣ﻫ — ٦٩٤ﻫ/١٢٨٤ — ١٢٩٥م) ، وبدأ يزاول نشاطه التبشيرى بصورة علنية ودخل فى جدال عنيف مع علماء المسلمين حول الاسلام والمسيحية • وقد ثار المسلمون ضده وطالبوا السلطان الحفصى بقتله باعتبار،

---

(١٤٧) أندريه جوليان : المرجع السابق ج٢ ص ١٨٠ •

مشركا يحرض الناس على ترك دينهم • ولكن السلطان أبا حفص اكتفى بنفيه الى خارج البلاد(١٤٨) • ولكنه عاد مرة أخرى الى المغرب عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م حيث نزل فى مدينة بجاية وطلب من قاضى المدينة أن يسمح له باجراء مناظرة مع علماء المسلمين ، ولكن والى بجاية أمر بحبسه لمدة ستة أشهر حتى لا يثير الفتنة بين المسلمين ، ثم طرده من المدينة بعد ذلك • وعلى الرغم من الفشل الذى منى به لل ، الا أنه لم يرجع عن فكرته الرامية الى تنصير المسلمين ، ولذلك عاد الى تونس عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ومعه رسالة من خايمى الثانى ملك أرغون يطلب فيها من السلطان الحفصى زكريا بن أحمد اللحيانى (٧١١ — ٧١٧هـ/ ١٣١١ — ١٣١٧م) السماح لرامون لل بالاقامة فى تونس • وقد تعهد الملك الأرغونى ألا يثير لل أية متاعب دينية للحفصيين ، وأنه (أى لل) سيعمل فقط على القاء المواعظ الدينية على المسيحيين هناك فى سرية تامة• ولكن ذلك كان مجرد وعود زائفة فما كاد لل يستقر فى افريقية حتى استبدت به فكرة تنصير المسلمين ، ولهذا لم يلبث أن ترك تونس ورحل مرة أخرى الى بجاية حيث نقى حتفه ، فقد رجمته جماهير المسلمين بالحجارة ، وظلت جثته ملقاه على شاطىء بجاية حتى حملها بعض التجار الجنوية فى سفنهم الى ميورقة(١٤٩) •

وهكذا نلاحظ أن حركة التبشير بالمسيحية بين المسلمين فى المغرب لم تلق نجاحا على الاطلاق ، بل على العكس من ذلك ، كانت حالات دخول المسيحيين فى الاسلام فى العهد الحفصى كثيرة ، ونستدل على ذلك من تلك الرسالة التى بعث بها أحد الآباء العاملين فى المغرب وهو

---

(١٤٨) Aziz Sorial Ateya : The Cursade in the Later middle ages, London, 1938, P. 98.

(١٤٩) A.S. Atia : Op. Cit. P.P: 93-94

الأب ريمون دى بنافورت Raymoud de Penafort الى البابا هنوريوس الثـالث Honorius III عام ١٢٤٦م/٦٤٤هـ يعرب له فيها عن استيائه وحزنه لتحول عدد كبـير من النصارى الى الاسلام[١٥٠] • ويعـلق برنشفيك على هذه الظاهرة (ظاهرة ازدياد أعداد معتنقى الاسـلام من المسيحيين فى العهد الحفصى) بالقول بأن الرقيق المسيحى كانوا من أكثر الناس اعتناقا للاسلام ، ربما للخلاص من الأسر والهوان • ولكن هناك من اعتنق الاسلام عن ايمان واقتناع كاملين • ولعل أشهر من ترك المسيحيـة واعتنـق الاسـلام فى العصـر الحفصى الراهب الفرانسيسكانى انسالم تورميدا ، حيث أعلن اسلامه فى مدينة تونس فى نهاية القرن الثامن الهجرى/١٤م • وكان هذا الراهب قد قدم الى تونس للتبشير بالمسيحية ودخل فى مناظرات فقهية مع علماء المسلمين ، وانتهى به الأمر الى اعتناق الاسلام وتسمى باسم عبد الله الترجمان • وقد ألف كتابا باللغة العربية دافع فيه عن الاسلام وفند آراء المسيحيين فى هذا الدين وسـمى هذا الكتاب « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب »[١٥١] •

الجنود المسيحيون فى جيش الحفصيين :

استخدم الحفصيون — شأنهم شأن بقية حكام المغرب — الجنود المسيحيين المرتزقة للعمل فى صفوف جيوشهم وخاصة كحرس لهـم • وتشير المصادر الى أن استخدام هؤلاء النصارى يرجع الى بداية عهد الدولة • وقد خصص السلطان الحفصى أبو زكريا يحيى بن المستنصر والملقب بالواثق لهؤلاء النصارى ربضا خارج النطاق الشرقى من مدينة

---

(١٥٠) Dufourcq : Op. Cit. P. 108.

(١٥١) برنشفيك : المرجع السابق جـ٢ ص٣٩٥ — ٣٩٦ • وقد نشر هذا الكتاب بالقاهرة عام ١٩٠٧ •

تونس وسمى بربض النصارى(١٥٢) • كان الغــرض منه أن يمـــارس هؤلاء الجند النصارى شعائرهم الدينية بحرية تامة بعيدا عن أعــين المسلمين • كما سمح لهم ببناء كنيسة فى ربضهم تحمل اسم القديس فرانسوا يقام بها القداس وسمح لهم بدق الأجراس(١٥٣) • وكمـــا تعرض الموحدون لانتقاد الناس لهــم بسبب استخدام النصارى فى جيوشهم ، لم يسلم الحفصيون من ذلك النقد ، فقد ذكر الآبى فى كتابه «الأكمال» أن السلطان الحفصى زكريا بن أحمد اللحيانى كان مارا من باب السويقة — أحد أبواب مدينة تونس — ويحيــط به حرسه من النصـــارى ، فتصدى له الشيخ القروى أحد زهاد افريقيـــة فى ذلك الوقت ، وكان صديقا للسلطان فقال له : يا فقيه لا يجوز ذلك ، فتوقف السلطان واستفسر حول هذا النداء ، فأجابه الشيخ مستشهدا باحدى قواعد الفقه المالكى وهى أن الله حرم الاســـتعانة بمشرك ، ولم يزد السلطان فى رده على الشـــيخ الفـــروى أكثر من قوله : أجل ، ثم انصرف(١٥٤) • ونلاحظ أن هذا الاعتراض على استخدام النصارى انما صدر من أحد المتشددين فى الدين ، ولذلك لم يعبأ به السلطان • وظل استخدام المسيحيين فى الجيش الحفصى قائما حتى نهـــاية عصر الدولة الحفصية •

---

(١٥٢) ليون الافريقى : وصف افريقيا ص٤٤٦ — ٤٤٧ — راجع ايضا :
ابن ابى دينار : المؤنس فى أخبـــار افريقيـــة وتونس • تونس ١٣٥٠هـ ص١٤٥ — ١٥٠ •

(١٥٣) برنشفيك : المرجع السابق ج ١ ص ٤٧٨ •

(١٥٤) الآبى : الاكمال ، طبعة القاهرة ١٣٢٧ — ١٣٢٨هـ ج٤ ص٣٥٥ •

الملاحق

I.

1053[1], 17 décembre.

Lettre de Léon IX à Thomas, évêque en Afrique. Le pape déplore l'état de l'Église de ce pays, où l'on comptait autrefois deux cent cinq prélats, et qui est réduite maintenant à n'avoir que cinq évêques; le pape engage l'évêque Thomas à défendre avec ses collègues, Pierre et Jean, les prérogatives de l'archevêché de Carthage contre les empiétements de l'évêque de *Gummi*, qui voudrait s'arroger le droit de consacrer les évêques et de convoquer les conciles en Afrique.

Labbe, *Concil.*, t. IX, col. 972; Mansi, *Concil.*, t. XIX, col. 657; Baronius, *Annal. eccles.*, 1053, § 41; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLIII, col. 728.

Leo, episcopus, servus servorum Dei, Thomæ, confratri carissimo et coepiscopo, salutem.

Cum ex venerabilium canonum auctoritate recolimus ducentos quinque episcopos concilio interfuisse Carthaginensi, et nunc a tua fraternitate audimus quinque vix episcopos superesse in tota Africa, utique tertia hujus corruptibilis mundi parte, compatimur tantæ vestræ imminutioni totis visceribus animi. Cum autem ipsas Christianitatis reliquias ediscimus interna et mutua dissensione discindi et dispergi, et adversus se invicem zelo et contentione principatus inflari, nil aliud nobis primo dicendum occurrit quam illud sancti Amos[2] vatis : « Parce, Domine, parce obsecro; quis suscitabit Jacob, quia parvulus est? » Sed quamvis in tali tantoque defectu religionis plurimum doleamus, multum tamen gaudemus quia sanctæ Romanæ ecclesiæ, matris vestræ, sententiam requiritis et expectatis super quæstionibus vestris; et quasi rivulis ab uno fonte erumpentibus et in suo secursu per diversa spargentibus, ad ipsius fontis primam scaturiginem reverti debere optimum putatis, ut inde resumatis directionis vestigium, unde sumpsistis totius Christianæ religionis exordium. Noveris ergo procul dubio quia post Romanum pontificem primus archiepiscopus et totius Africæ maximus metropolitanus est Carthaginensis episcopus; nec quicumque sit ille Gummitanus[1] episcopus, aliquam licentiam consecrandi episcopos, vel deponendi, seu provinciale concilium convocandi habet, sine consensu Carthaginensis archiepiscopi, cujuslibet dignitatis aut potestatis sit, exceptis his quæ ad propriam parrochiam pertinent; cætera autem, sicut et alii Africani episcopi, consilio Carthaginensis archiepiscopi, aget. Unde, carissimi confratres nostri et coepiscopi, Petrus et Joannes recte sentiunt de Carthaginensis ecclesiæ dignitate, nec consentiunt errori Gummitanæ ecclesiæ. Hoc autem nolo vos lateat non debere præter sententiam Romani pontificis universale concilium celebrari, aut episcopos damnari, vel deponi; quia etsi licet vobis aliquos episcopos examinare, diffinitivam tamen sententiam absque consultu Romani pontificis, ut dictum est, non licet dare; quod in sanctis canonibus statutum, si quæritis, potestis invenire.

Quamvis enim omnibus generaliter apostolis dictum sit a Domino : « Quæcumque » ligaveritis in terra, ligata erunt et in cœlo; et quæcumque solveritis in terra, soluta » erunt et in cœlo [2] »; tamen non sine causa specialiter et nominatim dictum est beato Petro, apostolorum principi : « Tu es Petrus, et super hanc petram ædificabo eccle- » siam meam, et tibi dabo claves regni cœlorum [3] »; et in alio loco : « Confirma fratres » tuos [4]. » Scilicet quia omnium ecclesiarum majores et difficiliores causæ per sanctam

et principalem beati Petri sedem a successoribus ejus sunt diffiniendæ. Jam quia ad interrogata etiam confratrum nostrorum Petri et Joannis episcoporum decrevimus respondere, optamus ut sanctam tuam fraternitatem jugiter invigilantem utilitatibus sanctæ catholicæ ecclesiæ, devote pro nobis orantem, sancta et individua Trinitas semper conservet, carissime frater.

Datum XVI kalendas Januarii, anno domini Leonis papæ IX quinto, indictione VII.

خطاب موجه من البابا ليو التاسع الى توماس أسقف افريقية . حيث يرثى البابا لحال الكنيسة فى هذه البلاد التى كان بها ٢٥٠ أسقفية والآن أصبحوا خمس فقط . ويطلب منه أن يدافع عن تلاميذه : بطرس وجان ضد ادعاءات أسقف قرطاجة .

وثيقـــة رقـــم (١)*

النـــص :

الأسقف ليو ، عبد عبيد الله ، يرســـل التحية الى زميـــله الأسقف توماس شقيقه الحبيب .

بناءا على (ما سبق من بيـــانات معـــروفة) من رجال الدين فاننا نحصى أن مائتين وخمسة اسقف كانوا قد حضروا مجمـــع قرطاجة ، والآن قد علمنا منك أيها الأخ لا يوجد ســـوى خمسة أساقفة فى أفريقيا بأسرها التى تشكل ثلث هذا الكون الفانى ، ولقد تأثرنا تأثرا كبيرا بهذا الأمر وشعرنا بالألم الشديد يعتصر نفسك ولكننا نعلم أيضا أن هذه الخمس الباقية تتعرض لانقسامات وخلافات داخلية شديدة ، وأنها تتضارب ضد بعضها البعض فى خصومات منذ البداية .

ولم يحدث أى انقسام مثل هذا من قبل ، مما يذكرنا بكلمات الكاهن المقدس عموس :

« اصفح عنى ، أيها الرب ، أصفح عنى ، أتوسل اليك ، أى شىء سيثيره يعقوب ، انه صغير جدا » ؟ .

(*) Mas Latrie : Traités et Documents P.P. 1-2.

ومع ذلك وبالرغم من أننا فى غاية الأسى لهـذا المصاب الفادح كما وكيفا فى ديننا ، الا أننا مع ذلك مسرورون كثيرا لأنكم طلبتم حكم أمكم الكنيسة المقدسة ، وانتظرتم حكمنـا هذا فى مشكلتكم ، (وهذه الكنائس) كما لو كانت أنهارا تخرج من نبع واحد ثم تتوزع مصباتها ومساراتها بعد ذلك ، وانكـم الآن تزمعون وترون أنه يجب أن يعود الفرع الى مصبه الأصلى لكى تستعيدوا صحة الاتجاه ، ومن ثم تتخذون البداية لدين المسيحية ككل •

ولذا فقـد علمتم ، ولا ريب ، أن رئيس الأساقفة فى كل أفريقيا والمتروبوليتان الأعظم لها ، وأسقف قرطاجة — كل هؤلاء — يأتون فى المرتبة التالية بعد البـابا الرومانى ، ولن يكون له أى تصريح فى تكريم الأساقفة ، أو عزلهم أو عقد مجلس الولاية بدون موافقة رئيس أساقفة قرطاجة ، ولن يكـون له أى منصب أو سلطة، الا تلك التى تمتد الى أبرشية (Parrochiam) لكن يدير الشئون الاخرى تماما مثل أساقفة أفريقيـا الآخرين باستشارة رئيس أساقفة قرطاجة • ومن ثم فان الأخوين العزيزين علينـا الأسقفين ، بطـرس وجون يدركان بحـق كرامة مركز كنيسـة قرطاجـة ، ولا يوافقـان علـى خـطأ كنيسـة جوميتـان Gumnitana ، لكن لا أريد أن يغيب هذا الأمر عنكم أنه لا يجب أن تحتفلوا بالمجمع العام أو الاساءة للأساقفة أو خلعهم بدون رأى البابا الرومانى وموافقته • لأنك حتى لو كان مسموحا لكـم باختيار وتقييم بعض الأساقفة ، الا أنه ليس مسموحا لكم قط باتخاذ الحكم النهائى بدون مشورة البابا الرومانى ، كما ذكرنا •

ويمكنكم أن تجدوا ما هو مقرر فى الآيات المقدسة اذا بحثتم

فى هذا الأمر • ذلك أنه بالرغم من أب الرب يقول لجميع الرسل عامة :

« ان أى شىء تبرمونه فى الأرض ، سـيكون قد أبرم فى السماء ، وأى شىء تحلون عقـدته فى الأرض سيكون قد حل فى السماء »[1] •

ومع هذا فقد خاطب القديس بطرس ، سيد الرسل ، خاصة بقوله :

« أما أنت يابطرس ، فوق كل ذلك ، فلسوف أشيد كنيستى لك ، وسوف أعطيك مفاتيح مملكة السموات »[2] •

وفى موضع آخر :

« أكد ذلك لاخوانك »[3] •

زد على ذلك أن القضايا الأكبر والأعقد بالنسبة لكل الكنائس يجب حسمها من خلال كرسى البابوية الرئيسى وخلفائه • ولقد قررنا بالفعل أن نرد على تساؤلات أخوينا بطرس وجون ، واننا نتمنى أن ترتبط أخوتك المقدسة باستخدامات الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ، وأن تصلى من أجلنا ، وليمتعك الرب الثلاثى الواحد ياأخانا العزيز •

(تم فى يوم ١٦ يناير ، العام الخامس للبابا ليون ، بند ٧)

(١) انجيل متى : ١٨ •
(٢) انجيل متى : ١٦ •
(٣) انجيل لوقا : ٢٢ •

V.

1076, au mois de juin. De Rome.

Grégoire VII, regrettant que l'Afrique, où florissaient autrefois un si grand nombre d'évêchés, n'ait pas aujourd'hui trois évêques pour consacrer un nouveau prélat, charge Cyriaque, archevêque de Carthage, de lui envoyer à Rome un sujet régulièrement élu, auquel il imposera les mains.

Labbe, *Concil.*, t. X, col. 145; Epist., lib. III, ep. 19; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLVIII, p. 449.

Gregorius, episcopus, servus servorum Dei, dilecto in Christo fratri Cyriaco, Carthaginensi archiepiscopo, salutem et apostolicam benedictionem.

Pervenit ad aures nostras quod Africa, quæ pars mundi esse dicitur, quæque etiam antiquitus, vigente ibi Christianitate, maximo episcoporum numero regebatur, ad tantum periculum devenerit, ut in ordinando episcopo tres non habeat episcopos. Qua in re maximum Christianæ religionis periculum considerantes, et in maximo agro paucis operariis desudantibus, corde tenus compatientes, consuluimus vobis, videlicet tibi et illi cui nuper manum imposuimus, ut aliquam personam secundum constitutionem sanctorum patrum eligatis, nobisque eam literis vestris fultam mittatis, quatenus ipso, Deo cooperante, a nobis ordinato vobisque remisso, necessitati ecclesiarum, ut sancti canones præcipiunt, episcoporum ordinationibus succurrere valeatis, et ut Christiana gens quotidie gaudeat atque proficiat pastorali regimine, et labor, qui supra vires vos opprimit, levior sit, ex sociorum necessaria administratione.

Data Romæ, mense Junii, indictione XIV^a^.

وثيقـــة رقـــم (٥)*

رسالة من البابا جريجورى السابع الى كيرياك أسقف قرطاجة يبدى فيها البابا أسفه على افريقيـــة التى كانت تزخر قديمـــا بالاسقفيات ولم يعد بها الآن سوى ثلاثة أساقفة .

النـــص :

الأسقف جريجورى ، عبد عبيد الله ، يرســـل التحية والسلام الى أخيه الحبيب فى المسيح ، كيرياك Cyriacus ، رئيس أســـاقفة قرطاجة .

لقد تناهى الى مسامعنا أن افريقيا ، التى يقال أنها جزء من العالم والتى منذ أن أشعت فيها المسيحية ، كان يديرها عدد هائل من الأساقفة قد تعرضت لخطر عظيم ، فلم يعد لها سوى ثلاثة أساقفة . وهذا الأمر يعد خطرا عظيما على دين المسيحية ، اننا نتألم ألما شديدا لأن هذا الحقل العظيم لا يعمل فيه الا القليـــل من العاملين ، ولقد استبان لكم ، بالذات لك أنت ، ولذلك الذى وضعنا اليد عليه ، أن أى شخص تختارونه كنظام «كهيئة» ثانية للآباء المقدسين ، وترسلون لنا ذلك القرار فى خطاب خاص ، والرب يعينكم ، وبعد اقراره من جانبنا ، واعادة ارساله من جانبكم ، يمكنكم أن تقدموا العون لتنظيمات الأساقفة ، بمـــا يمس حاجة الكنائس الرئيسية ، كما توصى بذلك الآيات القدسية ، وليسعد شعب المسيح كل يوم ، وليخضع لراعى الملكوت ، ويخف الجهد الذى يعد فوق طاقتكم بناء على اشراف ومعاونة الحلفاء .

(تم فى روما ، شهر يونيو ، بند ٢٤)

---

* Mas Latrie : Op. Cit. P.P. 6-7.

VII.

[1076.]

Grégoire VII annonce à Anzir ou En-Nacer, prince hammadite, roi de la Mauritanie sitifienne, que sur sa demande il a consacré évêque le prêtre Servand; il le remercie de ses bonnes dispositions à l'égard des Chrétiens de ses États, et lui fait savoir que deux nobles Romains, Albéric et Cencius, heureux de ce qu'ils ont appris de sa bienveillance, lui envoient des messagers pour l'assurer de leur désir de lui être en tout agréables.

Labbe, *Concil.*, t. X, col. 146; Epist., lib. III, ep. 21; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLVIII, p. 450.

Gregorius, episcopus, servus servorum Dei, Anzir, regi Mauritaniæ Sitiphensis provinciæ [1], in Africa, salutem et apostolicam benedictionem.

Nobilitas tua hoc in anno litteras suas nobis misit quatenus Servandum presbyterum episcopum secundum Christianam constitutionem ordinaremus; quod quia petitio tua justa et optima videbatur, facere studuimus; missis etiam ad nos muneribus, Christianos qui apud vos captivi tenebantur, reverentia beati Petri principis apostolorum et amore nostro, dimisisti, alios quoque captivos te dimissurum promisisti. Hanc denique bonitatem, creator omnium Deus, sine quo nihil boni facere, imo nec cogitare possumus, cordi tuo inspiravit ipse qui illuminat omnem hominem venientem in hunc mundum, in hac intentione mentem tuam illuminavit. Nam omnipotens Deus, qui omnes homines vult salvos facere et neminem perire, nihil est quod in nobis magis approbet, quam ut homo post dilectionem suam hominem diligat, et quod sibi non vult fieri alii non faciat. Hanc itaque caritatem nos et vos specialibus nobis quam ceteris gentibus debemus, qui unum Deum, licet diverso modo, credimus et confitemur, qui cum creatorem sæculorum et gubernatorem hujus mundi quotidie laudamus et veneramur. Nam sicut apostolus dicit : « Ipse est pax nostra qui fecit utraque unum. » Sed hanc tibi gratiam a [illegible] concessam plures nobilium Romanorum per nos cognoscentes, bonitatem et virtutes tuas omnino admirantur et prædicant. Inter quos duo familiares nostri Albericus et Cincius, et ab ipsa pene adolescentia in Romano palatio nobiscum enutriti, multum desiderantes in amicitiam et amorem tuum devenire, et de his quæ in partibus nostris placuerit tibi libenter servire, mittunt ad te homines suos, ut per eos intelligas quantum te prudentem et nobilem habeant, et quantum tibi libenter servire velint et valeant. Quos magnificentiæ tuæ commendantes, rogamus ut eam caritatem, quam tibi tuisque omnibus semper impendere desideramus, eis pro amore nostro et recompensatione fidelitatis predictorum virorum impendere studeas. Scit enim Deus quia pure ad honorem Dei te diligimus et salutem et honorem tuum in præsenti et in futura vita desideramus. Atque ut ipse Deus in sinum beatitudinis sanctissimi patriarchæ Abrahæ post longa hujus vitæ spatia te perducat corde et ore rogamus.

وثيقــة رقــم (٧)

(١٠٧٦م)

رسالة من جريجورى السابع الى الناصر أمير دولة بنى حماد يخبره فيها بموافقته على تعيين الاسقف سيرفان ، ويشكره على الرعاية الطيبة التى يلقاها المسيحيون فى بلاده •

النــص :

الأسقف جريجورى ، عبد عبيد الله ، يرسل التحية والسلام للنـاصر[1] Anzir ، ملك ولايـة Mouritania Sitiphensio (موريتانيا) •

لقد أرسلت نبالتكم لنا فى هذا العام خطابات بشأن أن نقوم بتعيين الأب سيرفاند Serandus أسقفا ثانيا للمؤسسة المسيحية، وكان طلبك هذا يبدو عادلا وطيبا جدا ، فدرسنا تنفيذ هذا الأمر ، وكذلك بعد ارسال الهدايا الينا ، وانك قد أطلقت سراح النصارى الذين كانوا أسرى لديك ، بورعنا وحبنا للقديس بطـرس سيد الرسل • بعد ذلك أيضا اننا لا نستطيع أبدا أن نقدر هذه الخيرية التى أضـاء بها قلبك الرب الخـالق لكل شىء ، والذى بدونه لا يمكننا أن نفعل شيئا طيبا ، وهو الذى أضاء قلب كل انسان يأتى الى هذا العالم ، كما أضاء قلبك بهذا الهدف • ذلك أن الله القادر على كل شىء ، الذى يريد أن يجعل جميع البشر آمنين أصحاء ،

---

(١) هو الناصر بن علناس (أو علاء الناس) أمير دولة بنى حمـاد (٤٥٤ — ٤٨١هـ/١٠٦٢ — ١٠٨٩م) •
Mas Latrie : Op. Cit P.P. 7-8.

ولا يهلك أحدا ، فلا شيء يبدو أكبر فيما بيننا ، من أن يحب المرء أخاه بعد الاختيار ، ولا يتمنى شيئا طيبا لنفسه لا يتمناه أن يكون للآخرين •

هكذا فنحن وأنتم ، الذين نؤمن ونقر بالاله الواحد ، يجب أن نقبل هذا الاعزاز لنا خاصة دون بقية الشعوب — نؤمن بالله الواحد — الذى لأننا نمتدحه ونبجله كخالق للأجيال والحكومات فى هذا العالم كل يوم • ذلك أنه كما يقول الرسول :

« انه هو نفسه سلامنا الذى صنعه لنا الرب » •

لكن نحن نشكرك ونقر لك بالفضل ، وأكثر نبــلاء الرومان الذين يعرفون ذلك منا ، معجبون بطيبتك وفضائك كلها ويوصون بها • ومن بينهم اثنان من أقاربنا ألبير Albericus ، وكينكيــوس Cincuis وهم اللذان ترعرعا منذ صباهما فى البــلاط الرومانى يتوقان بشدة لنيل صـــداقتك ومحبتك ، وبشأن هذه الأشياء فى ربوعنا مما يروق لك أن تخضع لها تطوعا ، يرسلان رجالهما اليك، لكى تعلم منهم مقدار ما يعتبرانك حكيما ونبيلا ، ومقدار ما يريدان أن يخدماك طواعية • ولك أن تدرس تقديرهما لفخامتك ، ونطلب منك أن تهتم بتقديم رعايتك التى نود أن تتعلق بك وبجميع من طرفك دائما ، من أجل حبنا ، وتقدير اخلاص الرجال المشاهير •

ذلك أن الله يعلم أننا نحبك بنقاء اجلالا لله ونتمنى لك الأمان والشرف فى حياتك الحاضرة والمستقبلة • ونصلى بقلوبنا وأفواهنا أن يمد الرب فى عمرك كما أطال عمر البطريرك القديس العظيم أبراهام •

المصـــادر والمراجـــع

أ ـ المصادر العربية :

١ ـ الآبى :
ـ كتاب الأكمال ، سبعة أجزاء ، القاهرة ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨هـ.

٢ ـ ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد الجـــرزى (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .
ـ الكامل فى التاريخ ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٣ ـ البكرى : أبو عبيــد الله بن عبد العــزيز المرسى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) .
ـ المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشـــر البـــارون دى سلان ، الجزائر ١٩١١ .

٤ ـ البيذق : أبو بكر بن على الصنهاجى (ت ق ٦هـ/١٢م) .
ـ أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق وتعليـــق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ١٩٧٥ .

٥ ـ التجـــانى : أبو محمد عبد الله بن محمـــد (ت حوالى ٧١٧هـ/ ١٣١٧م) .
ـ رحلة التجانى ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

٦ ـ تميم : أبو العرب :
ـ طبقات علماء افريقية ، تحقيق محمـــد بن أبى شنب ، الجزائر ١٩١٤ .

٧ ــ الجزنائى : أبو الحسن على :
ــ زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، نشر ألفرد بل ، الجزائر ١٩٢٢م .

٨ ــ الحميرى : عبد المنعم السبتى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى/ ١٥م) .
ــ الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥م .

٩ ــ ابن الخطيب : لســان الدين محمــد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) .

١ ــ أعمال الأعلام فيمن بويع قبــل الاحتــلام من ملوك الاسلام ، القسم الخاص بتاريخ الأندلس ، نشــره ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ ، والقسم الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشره الدكتور أحمد مختــار العبــادى والاستاذ ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ١٩٦٤م .

٢ ــ الاحاطة فى أخبار غرناطة ، الجــزء الأول نشر محمــد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٣م .

١٠ ــ ابن خلــدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمــد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) .
ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بولاق ١٢٨٤هـ .

١١ ــ خليفة بن خياط :
ــ تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكرم العمرى ، بغــداد ١٩٦٨م .

١٢ ــ الدباغ : عبد الرحمن الانصاري :
ــ معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تونس ١٩٠١م •

١٣ ــ ابن أبى دينار : محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى :
ــ المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس ، تونس ١٢٨٦هـ •

١٤ ــ الرقيق القيروانى : (من رجال القرن الخامس الهجرى/١١م) :
ــ تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس ١٩٦٧ •

١٥ ــ ابن أبى زرع : أبو العباس أحمد : (كان حيا ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) :
ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر Carolus Johannes Tornberg أوبسالا ١٨٤٣م •

١٦ ــ أبو زكريا : يحيى بن أبى بكر (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م) •
ــ كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩م •

١٧ ــ السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) •
ــ الاستقصا لأخبار دول المغـــرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ •

١٨ ــ ابن صالح : عبيد الله :
ــ نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشره ليفى بروفنسال وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٥٤ •

١٩ ــ ابن الصغير : من رجال القرن الثالث الهجرى/٩ م :
ــ أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد ناصر وابراهيم بحاز ، منشورات دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٦ ٠

٢٠ ــ ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ٠
ــ كتاب فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ١٩٢٠م ٠

٢١ ــ ابن عذارى المراكشى : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م) ٠
ــ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب :
١ ــ الأجزاء : الأول والثانى والثالث تحقيق ومراجعة ج٠ س٠ كولان وليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٨٠م ٠
٢ ــ الجزء الرابع : تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٨٠م ٠
٣ ــ القسم الخاص بعصر الموحدين تحقيق محمد ابراهيم الكتانى وآخرون ، الدار البيضاء ١٩٨٥م ٠

٢٢ ــ عبد الله بن بلكين (الأمير) :
ــ مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥م ٠

٢٣ ــ عياض ، القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ٠
ــ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ثمانية أجزاء ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى وآخرون ، المحمدية ١٩٨٣م ٠

٢٤ ــ ابن القطان : أبو الحسن على بن محمد الكتــامى (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) •
ــ نظم الجماعة فى أخبار الزمان ، نشر وتحقيــق الدكتور محمود على مكى ، الرباط ١٩٦٤ •

٢٥ ــ ابن القفطى :
ــ أخبار العلماء بأخبار الحكماء •

٢٦ ــ ابن القنفذ القسنطينى : أبو العباس أحمد بن حسين بن على ابن الخطيب (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م) •
ــ الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ، تونس ١٩٦٨ •

٢٧ - ليون الأفريقى : الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ت ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) •
ــ وصف افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور عبد الرحمن حميدة ، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض ، ١٣٩٩هـ •

٢٨ ــ المالكى : أبو بكــر عبد الله بن أبى عبد الله (القرن الخامس الهجرى/١١م) •
ــ رياض النفوس ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ •

٢٩ ــ المراكشى : عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) :
ــ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ •

٣٠ ــ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :
ــ السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر وتحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٦م •

٣١ ــ مؤلف مغربى مجهول (من القرن السادس الهجرى/١٢م) :
ــ كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الاسكندرية ١٩٥٨م •

٣٢ ــ مؤلف أندلسى مجهول : (من أهل القرن الثامن الهجرى/١٤م):
ــ كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ١٩٧٩م •

٣٣ ــ مؤلف مجهول :
ــ ذكر مشاهير أعيان فاس ، تحقيق عبد القادر زمامه ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، العدد ٣ •

٣٤ ــ الونشريسى :
ــ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، فاس (طبعة حجرية) ١٣١٤ ــ ١٣١٥هـ •

٣٥ ــ اليعقوبى : أبو العباس أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) :
ــ كتاب البلدان ، طبعة دار صادر ، بيروت ، جزآن •

ب — المراجع العربية والمعربة :

١ — أماري (ميشيل) :
— المكتبة الصقلية ، ليبسك ، ١٨٧٥م •

٢ — أحمد (عزيز) :
— تاريخ صقلية الاسلامية ، طرابلس الغرب ، ١٩٨٠م •

٣ — البارودى (دكتور رضوان محمد رضوان) :
— جبل الأوراس منذ الفتح العربى حتى الغزوة الهلالية • الاسكندرية ١٩٨٥م •

٤ — برنشفيك (روبرت) :
— تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ، ترجمة وتعليق حمادى الساحلى ، منشورات دار الغرب الاسلامى، بيروت ١٩٨٨م•

٥ — بينز (نورمان) :
— الأفكار السياسية للقـــديس أوغسطين عن مدينـــة الله ، ترجمة وتعليق الدكتور اسامة زكى زيد ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢٩ عام ١٩٨١م •

٦ — جوليان (شارل أندريه) :
— تاريخ افريقية الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير ابن سلامة ، تونس ١٩٧٨م •

٧ — حسين (دكتور حمدى عبد المنعم) :
— تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المرابطين ، الاسكندرية ١٩٨٦م •

٨ – سالم (الدكتور السيد عبد العزيز) :
– المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦م.
– فى تاريخ وحضارة الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٥م .
٩ – الشيخ (الدكتور محمد محمد مرسى) :
– تاريخ أروبا فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٩٠م.
١٠ – عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
– أروبا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨١م .
– الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٧٥م .
١١ – العبادى (الدكتور أحمد مختار) :
– تاريخ البحرية الاسلامية بالاشتراك مع الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، بيروت ١٩٧٢م .
– دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨م .
١٢ – عبد الحميد (الدكتور سعد زغلول) :
– تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩ .
١٣ – عبد الوهاب (الاستاذ حسن حسنى) :
– ورقات عن الحضارة العربية بافريقية ، تونس ١٩٦٥م .
١٤ – العدوى (الدكتور ابراهيم أحمد) :
– المجتمع المغربى : مقوماته الاسلامية والعربية ، القاهرة ١٩٧٠م .
١٥ – الطالبى (الدكتور محمد) :
– تراجم أغلبية ،مستخرجة من كتاب ترتيب المدارك للقاضى عياض ، تونس ١٩٦٨م .

١٦ ــ الكنانى (الدكتور مصطفى حسن) :
ــ حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ، الاسكندرية ١٩٨٥م •

١٧ ــ المطوى (الاستاذ محمد العروسى) :
ــ السلطة الحفصية ، منشورات دار الغرب الاســـلامى ، بيروت ١٩٨٦م •

١٨ ــ مكى (الدكتور محمود على) :
ــ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد السابع ، العـــددان ١ ، ٢ عام ١٩٥٩م •

١٩ ــ مؤنس (الدكتور حسين) :
ــ فجر الاندلس ، الطبعة الثانية ، جده ١٩٨٥م •
ــ نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطـــين الى الموحدين ، صحيفة معهـــد الدراسات الاســـلامية ، مدريد ١٩٥٥م •

٢٠ ــ موسى (الدكتور عز الدين) :
ــ النشاط الاقتصادى فى بلاد المغرب خلال القرن السادس الهجرى ، القاهرة ١٩٨٣م •

٢١ ــ موسى (الدكتور لقبال) :
ــ الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب ، الجزائر ١٩٧١م •

٢٢ — هوبكنز (ج. ف. ب) :
— النظم الاسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ترجمة محمد أمين الطيبى ، ليبيا ١٩٧٧م .

ج — المراجـع الأجنبيـة :

1 — Ateya (Aziz Sorial) :

— The crusade in the Later Middle Ages, London 1938.

2 — Bleye (Aguado) :

— Manual de historia de Espana, 2 Tomos, Madrid, 1947

3 — Cenival (Pierre de) :

— L'Eglise Chrétienne de Marrakeck au XIIIe Siècle, Revue Hespéris, Tome VII Année 1927, 1er Trimestre,

4 — Dozy (R.) :

— Recherches Sur L'histoire et la Litterature de l'Espagne, Amsterdam, 1965.

— Supplément aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth, 1968.

5 — Dufourcq (Charles-Emmanuel) :

— L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe Siècles, Paris, 1966.

8 — Marçais (Georges) :

— La Berbérie Musulmane et L'Orient au Moyen Age, Paris 1946.

— Les Villes de la Cote algerienne et la Piraterie au Moyen Age, daus A. I.E.O. (Annale de Institut d'Etudes Orientales, Alger, t. 13, 1955.

9 — Mas (Latrie) :

— Traités et Documents divers, Concernant les relations des Chrétiens et des Arabes au Moyen Age, Pares, 1889.

11 — Provençal (Levi) :

— Documente inedits d'histoire Almohade, Paris 1928.

6 — Einhard and Notker :

— The stammerer two life of Charlemagne, Trans. With an Introudction by : Lewis Thorpe, London, 1974.

7 — Gautier (E.F.) :

— Le Passé L'Afrique du Nord : Le Siécles obscurs du Maghreb, Paris, Payot, 1927.

10 — Speight (R. Marston) :

— The Place of the christians in ninth Century in north Africa according to Muslim Sources. Revue : Islamo-Christiana, Roma, 1978.

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٥٤٢٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N.
977—10—0394—7

دار نشـر الثقـــافة
١٣ شارع حسبو ـ منشا ـ محـرم بك
٤٩٣٢١٩٨/٤٩٢٠٦٢٥

الخطـــأ والصـــواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٣	الشارم	الشام
٤	١٢	دقلديناوس	دقلدينوس
٥	٤	دقلديانوس	دقلدينوس
٥	٨	الرومناية	الرومانية
٨	٧	القلاح	القلاع
١٠	١ ، ٢	—	السطر الثانى مكان الاول
١٠	٥	النصراى	النصارى
١٠	١٩	تحت	حتى
١٣	٧	المعروب	المعروف
١٣	١٦	صفاقص	صفاقس
١٤	هامش ٣٢	١٩١٩	١٩٣٩
١٥	١٦	أصلها	أهلها
١٥	الاخير	الاسبصار	الاستبصار
٢١	هامش ٥٦	ترجمة	ترجمته
٢٢	١٣	زيارته بجامع	زيادته لجامع
٢٤	١٩	الاسطول	الجيش
٢٧	٥	تأثير	تأثر
٣٢	٩	بمرافقته	بموافقته
٣٤	هامش ٩٦	كتاب	كتاب التبيان
٣٤	٣	درن	درن(٩٧)
٣٦	٣	بلى	ابلى
٣٧	هامش ١٠٧	ص	ص٣١٧ ، ٣١٨
٤٨	١١	للصارى	للنصارى
٤٨	هامش ١٣٦	ص	ص١٧
٤٩	آخر سطر	XIIIe	XIIIe et XIVe
٥١	١٣	الفرنسيسان	الفرنسيسكان
٧٣	٧	أبو عبيد الله	أبو عبيد عبد الله
٧٧	٦	الحكماء	الحكماء ليبزج ١٩٠٣
١٢	١٠	Marrakeck	Marrakech